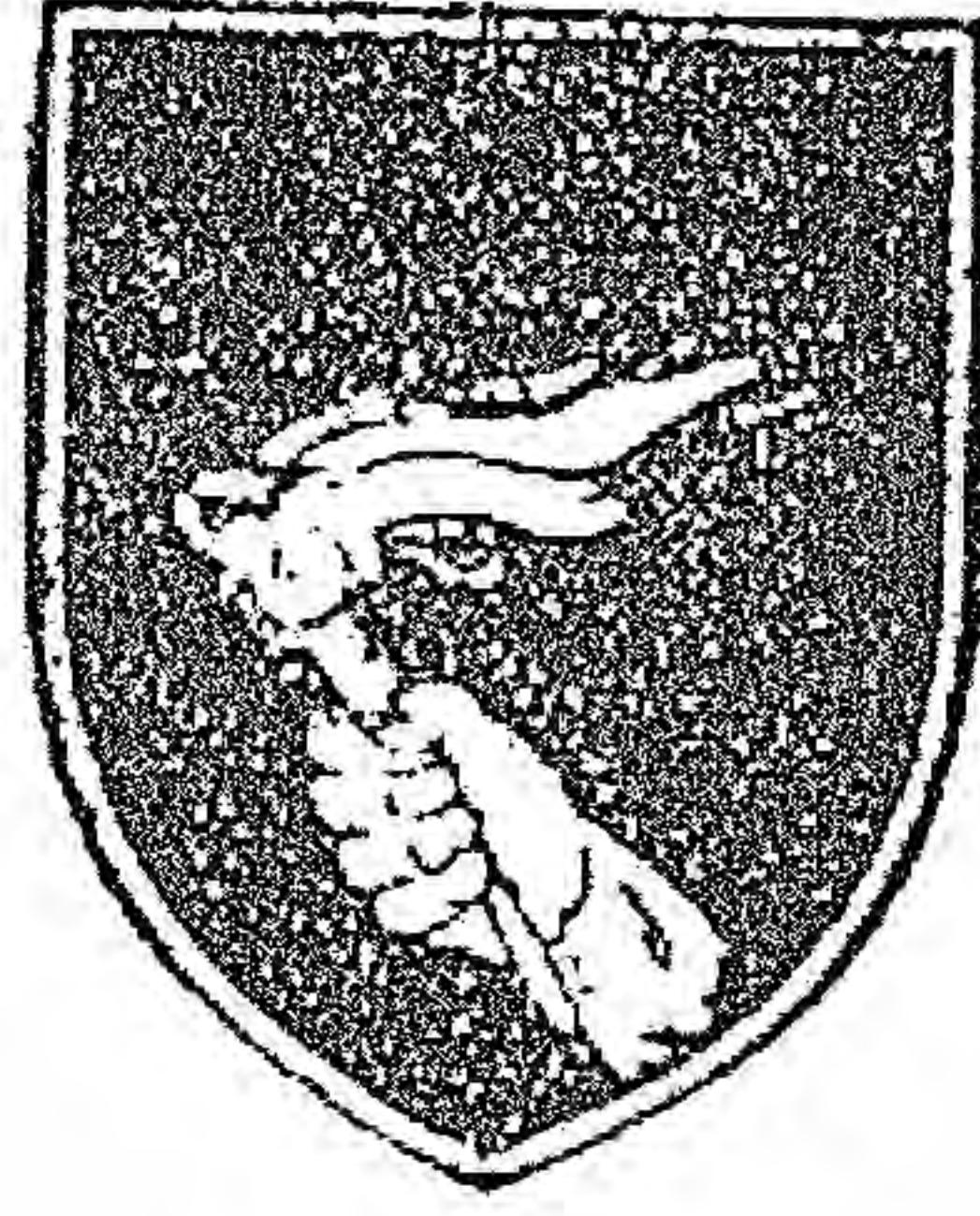


ANCORA IMPARO



العصور

أغسطس ١٩٢٨ شمع الحكمة يجذبنا إليك العدد ١٢ مجلد ٢

الديموقراطية في الميزان

تلخيص عن « ولز » الكاتب الانجليزي الأشهر
للعصور عذر واضح في أن تنشر هذا المقال القيم الذي
ترجمناه عن « ولز » الكاتب الانجليزي المعروف ، على
ما يستغرق من فراغ كبير ، وعلى ماسوف يشغل من وقت
القراء في مستعابيه وتفهم مراميه . ونحن الآن نعيش في عصر
الديموقراطية كما يقولون . غير أننا نرى أن النظم الديموقراطية
أخذ ينهار أساسها واحدا بعد واحد . فهي في إيطاليا
مجرد شبح مجرد عن القوة ، وفي إسبانيا خيال لاحقيقة له .
فهل يمكن أن يكون تعطيل النظم الديموقراطية دايلا على
فسادها ؟ هذا ما يمكنك أن تصدر فيه حكما مستقلا اذا
أنت أكبت على تفهم ما تقدم لك العصور اليوم من
بحث مستفيض

ان مميزات العصر الحالي تحدونا أن نسم عصر الديمقراطية بأنه عصر التجربة
كان العصر المنصرم عصر انتصارها . وهذا تكلمة لسلسلة العصور التاريخية كما

اذ لاح القرن السادس عشر والديموقراطية جنين في جوف الدهر . ثم شاهد القرن السابع عشر والثامن عشر آلام الوضع ، وما برغت شمس القرن التاسع عشر حتى نما هذا المولود وترعرع وبلغ أشده ، فاختلقت النظم السياسية والاجتماعية وقواعد الادب والفن عما كانت عليه في القرون الغابرة ، الا أن تيار الديموقراطية قد بلغ نهايته . ولذا فقد تكسرت امواجه المتكاثرة على صخور الزمان

نأتى الآن على وصف الديموقراطية وتحديداتها . وسواء أدت المدلولات العامة إلى شيء أو إلى لا شيء ، فإن الديموقراطية والاشتراكية ، برغم اختلاف أوضاعهما ومظاهرها ، تدلان على مدلول واضح كل الوضوح . ويمكن أن تقارنهما بحقائب صغيرة اعطيناها لجمهور من الاطفال كي يجمعوا فيها ماتصل اليه أيديهم من قطع الاحجار الصغيرة على شاطئ البحر ، فإذا تفقدت محتوياتها آخر اليوم ترى فيها شتى الاشياء مما لا يتفق وجوده في اثنين منها على السواء ، ولو أن الفرق بينهما ليس ببين . وارى أن مدلول لفظة الديموقراطية عند الجميع يكاد ينحصر في القاعدة الخلقية الآتية : وهي أن الكل متساوون في نظر الخالق ، أو في القاعدة القانونية : وهي ان الكل متساوون أمام القانون ، أو القاعدة العملية : وهي ان مال هذا يساوى مال ذاك سواء بسواء . ومعنى هذا الغاء الفوارق الاجتماعية والطائفية وكل الامتيازات أى وضع الجميع في موضع المساواة التامة . بيد أنها تحوى تناقضا بسيطا وهو أنه بينما تلح في تبيان اهمية الفرد والشخصيات الفردية فإنها تحدد من بروز هذه الشخصيات لدرجة التفوق والغلبة والطغيان . اذ بينما تعمل على دفع الافراد إلى مستوى واحد تقضى نفس العملية بانزال كل الافراد إلى مستوى الاسود الاعظم . ومما لامرأ فيه أن الفكرة الديموقراطية كامنة كمونا عميقا في نفس الانسان الوثابة المتمردة ، وهي فضلا عن ذلك مسلم بها على السواء في الاسلام والنصرانية

الا أنه لم نشعر بتأثيرها في التعبير عن متاعب الانسان الادبية والسياسية والعلمية الا في القرن السادس عشر حين بدأ انحلال النظام الاقطاعي تدرجاً وافتقر بزوغ شمسها بالقضاء على الانظمة العتيقة البالية واطلاق عوامل تحرير

الجنس الانسائي من عقالاتها ، كما نشطت عوامل الانحلال . وتحدى السلطات التقليدية .

و بنهوض الروح الديمقراطية تولدت أوضاع وأساليب جديدة في عوالم الادب والسياسة والفن

ففي السياسة نشأت فكرة الحكومة بواسطة الهيئات المنتخبة التمثيلية . فلما الآن برلمانات في كل جهات العالم . وقد اقترن ذلك باتساع نطاق حق الاقتراع حتى شمل كل الذكور ، ثم تناول النساء . ويصعب علينا أن نتصور شكلاً من أشكال الحكومة دون دستور و برلمان وجمهور منتخبين لتأييد حكومة تتغير وتتبدل من آن لآخر . بيد أن ذلك لم يكن معروفاً منذ ستة قرون وكان العالم القديم يحجل هذه الطرق اذ كانت هيئاتهم غير ممثلة لجمهور الشعب ولو أن النظم الديمقراطية اليونانية والجمهورية الرومانية كانت تقضى بحشد الشعب بأسره لاستفتاءه . حتى فرنسا وانجلترا التي كان فيها برلمان نوعاً ما قبل القرن السادس عشر ، لم تكن تتصوره كهيئة حاكمة . وكان العنصر المنتخب في المركز الأدنى

وغنى عن التعبير أن النظم النيابية الغالبة الآن ، والمنتشرة في أركان الارض من بلاد الصين الى جمهورية البيرو . لم تكن لتخطر على مخيلة أعمق البشر ادراكاً ، قبل ثلاثة عشر قرناً مضت . وهذه الحقيقة ذات أهمية عظيمة هذا هو المظهر السياسي للديموقراطية

أما في الادب فاداة التعبير عنها هي الرواية . وهي وليد جديد فقد كان للبشر في كل عصر من عصور المدنية قصص وحكايات عن المخاطرين والرواد . بيد أنها كانت تتناول سير الملوك والامراء والابطال

فلما نهضت الروح الديمقراطية تغلبت قصص الافراد والاشخاص العاديين مجردة عن عوامل السياسة ومن غير علاقة بالاوضاع الاجتماعية ، طليقة من قيود المسئولية والخضوع التقليدي بل عاشت حرة بذاتها الفردية وما أودعته فيها الانسانية من قوى الخير أو الشر وبدأت النهضة « بسرفانتس » الروائي الاسباني العظيم مؤلف

« دون كويروت » الذى هزأ بـ « بارستوقراطية العهد الاقطاعى وامتيازاته الطائفية » كما أشار الى روح الفروسية وعدم جدواها فى آخر الأمر، وسخر من بطله اذ يضع واحكم حكمه فى لسان مهرج ، وكان هذا كما كان تغلب طواحين الغلال على البطل الشاكي السلاح ، نذير ابتغاب الروح الشعبيه على النزعة الطائفية . على ان الميزة الكبرى التى امتازت بها كل روايات القرن التاسع عشر والتي امتد أثرها الى عصرنا هذا ، ان كل اشخاصها أو جلهم من عامة افراد الشعب ومن ذوى الحرف العادية أو المهن ، ليسوا من ذوى المكانة الممتازة أو الجاه الغريز . ليسوا من أولى الامر أو ممن يسوسون مهام الدولة . فاذا كانوا من هذا الصنف الأخير ، فليس ذلك بمؤثر فى خلقهم أو نزعتهم أو شخصياتهم باعتبارهم أفراداً من أفراد الانسانية ، بحيث أصبح عنصر الرواية غير محصور فى تنازع سلطات أو قوى مبهمه ، بل فى المسد والجزر الذى يقع عادة فى حياة البشر بين الجماهير ، فتجوهبت الآراء المظلمه والمعتقدات التى تربط بين البشر فى الحياة الاجتماعية . فلم يصبح هنالك من أثر للمعتقدات الدينية والآراء السياسية بشكل يشير النزاع والخلاف بين أشخاص الرواية بحيث يتحدثون بعضهم بعضاً ، حتى أن النقاد يحرمون مثل ذلك فى الرواية اذ ليس ذلك ميدانها ولا تلك غايتها .

واذا تأملت فى روايات كبار العصر الماضى من نوابغ الروائيين ، كبزك وديكنز وترجنيف وزولا ، تجد أن روايتهم عبارة عن معارض للاحياء واسواق للانسانية المضطربة . فاذا بدت خلالها شجون سياسية تناولتها يد الكاتب كأي شجون أخرى مما يعترض سير الحياة الانسانية المضطربة ، أو مناظر تبرز خلالها كصور الاشخاص ، بأكثر ما يكون من الوضوح والجلال .

يكاد يكون من المتناقضات أن العصر الذى شاهد تقوية الفرد وازدياد نفوذه وامتيازاته كعضو فى الهيئة الاجتماعية . بحيث أصبح الكل تقريباً متمعين بحق الانتخاب ، أى أن لهم نصيباً ما فى حكم العالم والسيادة عليه — ذلك العصر ، قد شاهد فى نفس الوقت انقلاباً وتطوراً آخر هو على حد التعبير الادبى « انعدام الفود قوة المجموع » واندماج العالم فى الجماهير بحيث أصبح عمل

جميع ليس عملاً يخص أى فرد بمفرده ، كما أصبحت الآداب في عصر التغلب الديمقراطي أداة تعبر عن الفكرة التي تخفيها تطورات العصر السياسية إلا كما يخفى الثوب الشفاف ما تحته . وقد دل هذا على أن الديمقراطية ليست إحدى أوضاع الحياة الدائمة بوجهتها الاجتماعية والسياسية ، وإنما هي مظهر لانحلال هائل بعيد المدى

قد يكون من السهل أن نطلق على الروايات التمثيلية في القرون الثلاثة الماضية نفس الخواص والمميزات التي للقصة في هذه العصور — من حرية في الرأي وعدم تقييد وتنوع يشمل فولستاف (إحدى أشخاص شكسبير) وأقرانه المهرجين وعطيل وغيرته والمسيو جوردان (إحدى أشخاص مولير) وإطامحه الاجتماعية . وينطبق ذلك على التصوير والموسيقى فكان بهذا أداة لخدمة الأغراض السياسية والدينية وخاضعا لمقتضيات الزخرفة . ثم تحرر في القرنين السادس عشر والسابع عشر ، فهجر القصور والهيكل وتناول حياة البشر العادية وتحول رسامونا الآن الى فوضويين يتناولون بريشتهم ما يحلو لهم خدمة للفن والتصوير . غير مهملين الحقيقة المجسمة محققين في بناء الخيال . أما الموسيقى فنشطت من عقابها . ولو تصورنا أن أحد أجدادنا الذين ماتوا من قرون قد رجع إلينا ثانية ، لما وجد من شيء هو أدعى لدهشته في عالمنا الجديد من زيارة إحدى صالات الموسيقى . حيث يسمع ألحان رافل أوديبوسي ، فترن في آذانه أنغام شجية تناسقها آية في الجمال ، في حين أنها لا تتعلق بموضوع تام الحواشي ، أو تنقل للسمع صورة كاملة لمعنى من المعاني ، فضلا عن عجزها عن تادية المعاني الاجتماعية . رميت في كل ما أسلفت القول فيه الى القول بأن كل صور التعبير الانساني في العصر الماضي في الآداب والفن . ترىنا الديمقراطية كقوة هائلة من قوى الانحلال التي تعمل على تفكيك عرى المجتمع . بيد أن هذا الانحلال الذي هو وليد الديمقراطية قد بدأت تقاومه عوامل البناء والتكوين التي لاغنى للمجتمع عنها ، بل هي كامنة في جسمه . وفي بعض المواطن لم يسفر ساطان الديمقراطية عن اطلاق عوامل الانحلال والتفكك ، لولا خالق حركة التحرير التي هي ، وليدة الديمقراطية ما قامت قائمة لعالم العلم الحديث

مما هو جدير بالملاحظة انه بينما انشأت الحركة الديمقراطية في عوالم الادب والفن والسياسية تيارات من الفكر تدعو الى التقسيم والتفرقة الى كتل وجماعات غير منظمة ، الا انه في عالم العلم تجتمع عنها حركة بناء وتجمع واسعة النطاق شاملة جميع نواحي العلم ، وشيدت هيكلا متناسقا من المعرفة . وقد كان اتساع العلم وتكوينه في القرون الثلاثة الماضية على نهج مخالف تماما لتطور الفنون والآداب والسياسة في تلك الفترة . ومن قبل ذلك عندما كانت أركان المعرفة الانسانية منظمة متناسقة في جميع نواحيها ، كانت العلوم سلسله من الحقائق لا يربطها ببعضها رابط ولا يجري فيها تيار واحد من الفكر .

ولما تحرر الفكر البشري من قيود التحكم والسيطان أخذت العلوم تنصب في قوالب التنسيق والتجانس ، تولد عن حركة التحرير التي تناولت عوالم الادب والفن والسياسة انطلاقا من التقاليد الموروثة والاساطير الموضوعة أدى الى الحرية المطلقة التي لاحد لها . ولتدأ سلم هذا في ميدان العلوم الى اخضاعها للتحقيق عن طريق التجربة والاستقصاء والمطابقة المنطقية بين حقيقة وأخرى ، أى ان تاريخ عصر الديمقراطية يشمل وجهين مختلفين ، ومظهرين قد يبدو ان لاول وهامة متناقضين . أحدهما الانطلاق من القيود والانفلات من السلاسل والاضلال وعدم المبالاة بكل ما هو موضوع مقرر ، وان لم يكن ذلك بارزا تمام البروز في أبحاث المعامل العلمية والجامعات . والاخرى نحو فكرة واحدة ثابتة عن الحقيقة تخضع لها قيم جميع الاشياء وتوزن بميزانها وتلتزم بمقتضاها حالات الانسان مع التغيرات الكيماوية ، وتوجد علاقة بين تركيب أدق الذرات وطبيعة أبعد الافلاك .

لم يكن نهوض الديمقراطية وبلوغها أوج الساطان بالامر الهين ، ولم يقتصر كفاحها على مناهضة الملوك والطبقات الارستوقراطية وكل فئة من ذوات الامتيازات التقليدية والسلطات الموروثة ؛ ذلك لان الفكرة القائلة بازالة الفروق بين الانسان وأخيه الانسان ، قد اصطدمت بحقائق مادية وعقلية . ولم يكن تاريخ القرن الغابر الا مرآة هذا الاصطدام وقد كان هذا الكفاح لتقرير المساواة بين البشر على

أشده في البقاع التي تجاوزت فيها جنسيات ذوات لغات مختلفة أو عند الحدود الجغرافية أو الاجتماعية التي ينتهي عندها انتشار شعوب مختلفة هناك وجد الانسان العادى انه مع ميله الى ازالة الفوارق الاجتماعية الكائنة بينه وبين من هم فوقه ، لا بد من أن يصطدم مع غرائز ذات غور بعيد في النفس الانسانية تحذو به الى التمهّل شيئاً ما ، ليحدد الفوارق القائمة بين الطبقات . ومن ثم اجتاحت عقلانيته شتى الغرائز والمشاعر وتولد فيه حب التنافس والنزاع ثم الريبة يليها العدوان . فكان عصر الديمقراطية كذلك عصر القومية ، ولم يكن العداء القومى والجنسى فى أى عصر من عصور التاريخ أشد وطأة وأحد سلاحاً ، وأبعد أثراً وأكثر خطراً منه فى عصر الديمقراطية . بيد أن هذا يناقض مبادئها وأمانيتها التي ترمى فى أغراضها العالية الواسعة الى ازالة الفوارق بين الطبقات والاجناس والطوائف . ومن أطرف الظواهر فى عصرنا الحاضر كفاح أحزاب العمال فى الديمقراطيات الاوروبية مع ما هو غريزى فيها من عميق الشعور الوطنى ووطنيتها الوثابة . بيد أنه من أبلغ الحوادث تأثيراً فى النفس تلك التغييرات التي طرأت على حركات العمال فى بلاد كاستراليا وجنوب افريقية ازاء موقفهم أمام حركات اجتماعية خاصة كتيار المهاجرة التي تنزع اليها الشعوب الصغراء ، وحق التصويت للزنوج . بيد ان الروح مع القومية ليست أكبر القوى التي أثارتها الديمقراطية الحديثة فى نهضتها ، ثم انقلبت تناهضها . ومما هو أبعد من القومية أثراً تلك القوة الانشائية المحركة فى الحياة الاقتصادية ، والضغط المادى الهائل القاضى بابدال الاعمال الفردية التي توافيها روح المناقشة والنزاع ، بمشاريع تشاركية عظيمة . وليس هذا التحول قاصراً على الصناعات ، بل يتناول انتاج مواد أساسية أولية كالقمح والزيت والحديد والصلب والقطن والمواد الغذائية والكيمائية الأساسية . ونجم عن هذه الحركة ان الاعمال المنظمة والمنشأة على الاسس العلمية ، قد حلت محل الاعمال الفردية التي لم تنجح ويتسع نطاقها الا الى حد ما . وهنا يفاجئنا مظهر آخر من مظاهر الديمقراطية المتناقضة . اذ ان هذه المجموعات من الاعمال التي اتسعت بالاندماج حتى أصبحت كالمحتكرات هي نتاج حركة التحرير التي انتجتها

الديموقراطية وانبثقتها الحرية التي هي أساس العلوم والمخترعات والتجارب العلمية .
وفضلا عما تولد عن الديمقراطية من زوال القيود والحدود التي حالت دون اتساع
الاعمال نجد من جهة أخرى ان قيام هذه المماريع التشاركية وهذه الكتلة
الاحتكارية ، يخالف تماما روح الديمقراطية التي تقضى بالمساواة بين الانسان
وأخيه ، وتنادى بان الانسان سيد نفسه بل تقول بانه يجب ان يعيش كما تهوى
نفسه . ومن الضروري لحياة مشاريع كهذه ونجاحها وجود نظام متشعب الاطراف
يقضى بالتخصص والتقسيم والتفريع بين وظائف الاعمال واعطاء الهيئة التنفيذية
قسطا من الحرية . وفضلا عما يؤدي اليه هذا النظام من وجود عمال مستخدمين
كذلك تراه يقضى بوجود فوارق في الاختصاص والسلطة وقوة الابتكار بين الافراد .
وقد توصلوا في امريكا الى ايجاد شبه تآلف بين هذه الحقيقة الديمقراطية لنظام
البناء الاقتصادي والمثل العليا للديموقراطية القاضية بالمساواة بين الناس بتشريع
يحول دون طغيان الهيئات الاحتكارية . وفي انجلترا حركة تنطبق على المنطق
والعدالة ولوانهم تبلغ أشدها بعد ترمي إلى انشاء ما يسمى « بالدولة الموزعة للمنافع » ،
وذلك بتقسيم المشاريع العظيمة من آن لآخر وتفرعها ، ثم تسليم الاشلاء الدائمة
الى الافراد . بيد ان المظهر الاساسي للنزاع بين البناء والتحليل في العصر
الديموقراطي هو الصراع المنقسم الى شطرين . شطر لها وشطر عليها . اذ أن أى
شكل من أشكال الاشتراكية لا يخرج عن أنه محاولة لنزاع الحياة الاقتصادية
العامة من سلطان أية رقابة يخضع الآن لتسليم زمامها لهيئات نيابية منتخبة من
العمال ، أو سياسيين يفتخبهم من لهم حق التصويت في نظام المجتمع العام .
فالاشتراكية هي السعى لجعل الحياة الاقتصادية أكثر انطباقا على المبادئ
الديموقراطية بقدر ما سادت هذه المبادئ وتفشيت في الحياة السياسية . اما المطعن
العملي الذي قام أخيراً ضد الاشتراكية جزئياً كان أو كلياً ، فينحصر في أن الساسة
والنواب عن الشعب ليسوا من الكفاءة بحيث يضطلعون باعباء قيادته . ومما يجب
ملاحظته ان هذا المطعن له أنصار كثيرون يميلون الى تأييده ويقودني هذا البحث
الى الكلام في حقيقة برزت جليلة في عصرنا الحاضر ، وهي ما اسميه « توقف سير

الديموقراطية والتمهل البادى فى نهضتها » وذلك راجع الى حقيقة بدت للعيان منذ نشوب الحرب وتجلت فى ذلك الشعور المتزايد بعدم الثقة فى السياسيين والتبرم بهم وعدم الرضى بالطرق التى تولدت عن الديموقراطية البرلمانية . وقد شاهدنا فى بلدين لاتينيتين عظيمتين نظما سياسية و برلمانية تتصدع وتنهار غير مأسوف عليهما من الشعب (١) . بينا نرى فى روسيا جمهورية برلمانية تظهر فى الافق ثم تختفى كالخلم ، ليحل محلها حكومة مكونة من هيئة منظمة لم ينسق على منوالها قبل حكومة للشيوعيين وهى فوق ذلك لاتعنى بالنظم النيابية الاعلى قدر مقدور . وفى الصين نشأ نظام آخر لامثيل له وهوحكومة « الكونتاج » توطدت معه جميع عناصر الدولة بعري وثيقة أمام حكومة بكين البرلمانية المنبوذة من الجميع . ولا أريد الاسترسال فى ايراد الامثال الاخرى الدالة على ان الهالة السحرية التى كانت تحوط نظم الحكم بالانتخابات العامة قد زالت تماما . وهنا بعد كل ما أدليت به من القول يجدر بنا ان نتساءل : « هل وقف تماما سير الديموقراطية » و « هل هى سائرة على النظم القديمة رغم هذه المظاهر » - و « هل هى مستقبلة أوجهاً أخرى وأشكالا من حياتها تختلف تماما عن نظمها القديمة بحيث تفتح معها عصرا جديدا فى تجربة الانسان » - و « هل انطلاقتها نحو البناء والتجديد يحولان دون التحول والميل نحو التجزئة والانحلال » .

أشرت فى عنوان رسالتى الى الجواب الذى أميل الى الرد به على هذه الاسئلة وهو ان الديموقراطية فى مستهل عصر جديد - عصر التجربة والمراجعة - عصر تجرى أحكام القدر فيه على زوال البرلمانات والهيئات البرلمانية والحياة السياسية كما نعهدها الآن .

وبزوال هذه النظم العتيقة والتقاليد سنفتتح عصر تقلبات عظيمة وتغيرات فى كل طرق التعبير عما يجيش فى صدورنا من آمال ومطامح ومعان وسوف يتطرق هذا التحول الى تغيير مناهج حياة كل منا . وقد ظلت الانظمة الديموقراطية السائدة عدة فى العالم تعبر عن التحرير والانطلاق نحو الحرية التامة .

وكذلك تهديم الهيئات المتسلطة على الاعمال المادية وتخطيم القيود وإزالة العقبات التي تحول دون حرية العمل . وقد أعقب ذلك تخلص الافراد فى كل أركان المعمورة من القوانين والنظم الجامدة وذساتير الحياة القاهرة وكل أشكال الخضاع والمسئوليات والواجبات . وانى أرى ان هذه العملية التي ترمى الى الانحلال قد آذنت بالزوال وان امام البشر الآن ضرورة قاهرة تقضى باعادة تنظيم الحياة والفكر على أساس وجهات من النظر جديدة . واتجاهات أخرى نحو الامانى السياسية والعقلية والاجتماعية التي تسمو فوق مقدرة الفرد العادى المتمتع بالحقوق السياسية، بل وتعلو على سياسيه كما تعلو على أفق التعليم الضئيل والادب الغث اللذين اعتادت عقولنا ان تتغذى بهما . وفى هذا الصدد سأذكر ثلاث مسائل هامة مشتبكة أخذت تواجه العالم منذ نشوب الحرب العظمى ، وفوق ذلك سأذكر كيف كان نجاح الحلول التي حاولت نظمنا الديمقراطية الوصول اليها ضئيلا ، بحيث ضعف معه أمننا فى التغلب عليها . وأول هذه المسائل معضلة الحرب وليس هنا مجال تعداد ويلاتها وانحراب الذى عم العالم من مهلكات المستحدثات العلمية من حرب جوية الى غازات سامة وجرائم قتالة والقضاء على سلامة الفرد الآمن غير المحارب الى الانقلاب الاجتماعى والانهياد الاقتصادى الذى يستتبع سلسلة أخرى من المعارك . وقد أصبح السواد الاعظم من العالم لا يبيع الحرب . ولكن ما أضال المحاولات التي قامت بها الحكومات منذ سنة ١٩١٨ لوضع حوائل دون الحرب . انها ليست أكثر من حبر على ورق ، وما زلنا نسمع صاصلة السيوف وقصف المدافع فى أوروبا لم يتغير فى ذلك كله الا ميدان القتال وقد كان شبح الحرب يهدد سلام أوروبا سنة ١٩١٠ ، وكنا نتوقع أن ينقض علينا حاملا منجل الحصاد ثم كانت الكارثة العظمى سنة ١٩١٤ . وهنا نتساءل هل نحن الآن فى مأمن من الحرب أكثر مما كنا من قبل ؟ ولم يكن اختيار سياسة التفاهم وما عقبها المؤتمرات الصغيرة والمناقشات ومظاهرات الفرد والوفاء ، الا محاولة قصدها تخفيف من هول ذلك الشبح ، لا القضاء عليه . وما زالت المصانع تخرج لنا الدبابات والسفن المدرعة فى كل انحاء العالم

وثاني هذه المسائل هو عجز الديمقراطية الحديثة عن معالجة المسألة المالية فمن الواضح البين الذي لا يختلف فيه اثنان أن سير المدنية الحديثة نحو التقدم مشروط على وجود أساس ثابت للنقد العالمي. ومادام النقد متقلبا متغيرا فستقتضي المضاربة على كل مشروع اقتصادي سليم ومحل محل العمل الجدي للربح الخلال، ونحن الآن نشاهد منذ ثمان سنين بورصات العالم تتقلب وتتدافع وتتجاذب كما في بهو الرقص، وقد قضى هذا التهاافت الجنوبي على المال على كل مجهود نحو إنعاش العالم الاقتصادي. وقد سارت كل حكومة ديمقراطية في سياستها حسب هداها ومصلحتها. في حين أن أصحاب الاموال كانوا يقومون بعملياتهم الخفية في الظلام ولم يفقه الرجل العادي ذو الحقوق السياسية في أية هيئة ديمقراطية الادوار والعمليات التي انتجت العطالة في بلاده وقضت على ما ادخره من مال وصيرت ضرورات الحياة فوق متناولها. بين أن تسلط الروح الحربية على العالم ما يصحبها من تلويح بالحرب في كل وقت والمشاكل المالية التي لم نجد منها مخرجا ليست الاعوامل تزيد مشكاة العالم العامة تعقيدا لتلك المشكاة. التي تنحصر في أن المياه الاقتصادية قد أصبحت متشابكة بين أطراف العالم تبعا للتغير الذي طرأ على طرق النقل وتقدم العلم والاختراع. وبذلك اتسعت دائرة الحياة الاقتصادية وأصبح ميدان العمل الاقتصادي مترامى الاطراف وصارت طريقة الصانع الفردي والتاجر الذي يعتمد على رأس ماله، حتى والشركة ذات رأس المال المتوسط، بل والجماعات المحصورة رأس مالها في بلد واحد، مهددة بالزوال منذرة لسوء المنقلب في كل منتوجاتها الرئيسية، اذ تحاول القضاء عليها جماعات ذات رأس مال دولي.

إن المشكاة الكبرى التي تواجه الجنس البشري الآن تنحصر في البحث عن كيفية الوصول الى وحدة العالم الاقتصادية؟ كيف ننتج نظاما لجماعات الاحتكار العالمي تقلل به عناء التجار ببعي العمياء الى أبسط حد. وبدون أن يظهر ملايين الاحوال وعدد لا يحصى من أجيال البشر في أتون هذا التجديد الذي لا بد منه؟ كيف الوصول الى تكوين وحدة سياسية في هذا العالم تكون من

الكفاية على قدر يستتب معه سلام العالم ، وتنقد الصناعة والتجارة من ان تتحول الى عوامل للمقاومة بالنقد العالمى ونشرف على توزيع المواد الاولية ، ونسوس مسألة القضاء على العطللة والمصنوعات فى أنحاء العالم ؟ هذه باختصار هى المسائل التى تواجه ذكاءنا وحنكتنا . وليس هناك حكومات ولا هيئات فى العالم هى من الكفاية بحيث تعالج هذا الثالث من المسائل . أبو الهول ذى الرؤوس الثلاثة الواض امام الجنس البشرى . والآن ماهو الحل لهذه المشكلة ، مشكلة عجز الحكومات الديمقراطية الحديثة عن معالجة المهام التى تواجهها ، والتى تزداد حدة وتعقيدا ، وقد أصبحنا واقفين على مشاريع عدة لاصلاح نظام الانتخابات ؟ من هذه الاصطلاحات ، كاستفتاء الشعبى وما يجرى مجراه ، مالا يرمى الى شىء الا الى كبح جماح الحكومات وشل سلطتها . ومنها إنشاء مجالس نيابية صغيرة ينتخب نوابها عن دوائر نيابية واسعة النطاق بواسطة الانتخاب النسبى على قاعدة الصوت المتنقل (الذى يمكن نقله من دائرة لآخرى) تعطينا مجالس أكثر حرية ونشاطاً وتسير بنا شوطاً كبيراً فى إلغاء الاحزاب السياسية ، والقضاء على محترفى السياسة ، ولا شبهة فى أن هذه الاصطلاحات فى نظم الانتخابات ليست بعيدة الغور لتفضى على مساوىء الديمقراطية الحديثة التى تنحصر فى عدم المبالاة التى يبدىها الرجل العادى نحو الشؤون العامة ، فضلا عن الجهل والعجز ويجدر بنا أن نعرف أن الرجل العادى الذى له حق التصويت لا يبالى بالصوت الذى يعطيه ، اذ ليس ثمة علاقة فى مخيلته بين صوته والعالم الخارجى . وهو لا يستخدمه للتعبير عن ارادته وأغراضه نحو تسيير شؤون الدنيا . وقد أسلفت أن القصة وهى اداة التعبير الخاصة عما يجيش فى صدر الديمقراطية الحديثة . وكذلك الرواية التمثيلية لا تبالى بالنظريات السياسية الشاملة ولا الآراء الدينية .

انهما انما تعبران تعبيراً صادقاً عن شؤون العالم الجارية وهاتان الأداةان ، القصة والرواية التمثيلية ، لم تحويه نظريات جديدة ، أو تصورات عن العالم مستحدثة بل اقتصرنا على تمثيل الحياة باوسع معانيها طليقة من القيود الوضعية . وان حكوماتنا الديمقراطية لنكشف لنا عن الحقيقة التى لامراء فيها التى تدل على ان سلطان

الديموقراطية الحديثة لم يكن معناه نقل السلطة من الاقلية للاكثرية ، بل زوال السلطة من العالم كلفة . فصوت الرجل العاوى اداة دفاع ، وليس اداة بناء ، ولما واجهت الديموقراطية السياسية ما يتطلبه العالم من برنامج واسع النطاق مؤسس على احتياجات للتشييد والبناء ذات خطورة متزايدة ، تبين للعالم فشلها اذ عجزت عن انشاء حكومات ذوات قوة في الابتكار والخلق . حكومات ذوات عزم واقدام . حكومات ذوات ادراك وبصيرة . لالحكومات ينتهى غرضها طرد حكومات اخرى على اثر انتخابات عامة ، وهو عمل مؤسس على الهوى والغرض . وقد سار العالم قرنا نجحت فيه الحكومات الضعيفة ذات النظام الضئيل وفي وسط هذه الحرية قد تبوأ العلم مكانه ، وبسطت الابحاث العلمية سلطانها فتناولت العالم بأسره وشادت لها مكانا حصينا . وقد بلغت الموسيقى شاعرا عظيما ، وسما التصوير الى مستوى رفيع من الصناعة والفن ، وازدادت الآداب جرأة في التعبير . بينما تكونت في ميدان الصناعة والتجارة هيئات ومجموعات من الاعمال لم تكن تسمح بها روح . الرقابة الرسمية . على ان مجرد هدم النظم العتيقة البالية المعطلة والانفلات من التقاليد العاتية والامتيازات ، كل ذلك ادى الى اتساع نطاق الحياة الذى بدأ فى الازدياد منذ القرن السادس عشر . غير أن هناك حد لذلك التوسع الذى يسير على غير هدى وارشاد ودون رقابة . ويخيل الى أنه مما ساعد على بلوغنا هذا الحد شبح الحزب والتقليل المسالى والنزاع الذى ينشب بين آونة وأخرى بين نمو النظم الاقتصادية ووظائفها ، وبين ميل العامل الى الحرية والسعادة مما لم تقو اية حكومة فى العالم على مواجهته لعجزها وانعدام قوة الابتكار فيها . واصبحنا فى حاجة الى قيادة تسير بنا فى سبيل اكثر وضوحا وسدادا ، وذلك على قدر ما للمسائل الثلاث الهائلة التى تواجه العالم الآن من خطورة .

من اللغو التحدث للرجوع الى الملكيات الضئيلة والارستوقراطية وغير ذلك من النظم السائدة الى ما قبل عصر الديموقراطيات . لهذا نتساءل هل لم يلح بعد فى سماء السياسة التجريبية شكل من أشكال الحكومة اكثر قوة على البناء والتشييد ؟ وهنا أرد على ذلك بالاجاب . فانا مقبلون على عصر اعادة النظر فى

لديموقراطية . ولما كانت الحوادث المقبلة تمتد خيالها قبل وقوعها ، فالعين البصيرة لا شك تميز في الافق خيالات مأهولة . بيد أن من بين هذه الاشباح التي يتخيل في الافق البعيدة اريد أن الفت النظر بشكل خاص خياليين أو شيخين الأول الحزب الشيوعي ؟ والثاني الفاشزم . وهنا يجب أن انبه على أني من النقاد المعادين للشيوعية على طريقة كارل ماركس دون هوادة ، وفي الوقت نفسه امقت أوجه شتى للمذهب الفاشستي ويشمل ذلك بوجه خاص الرأس الذي تقوم عليه . ومع أني لست من الذين ينظرون الى الاشياء بمنظار أسود ، الا أني لا اخفي كراهيتي للآراء الشيوعية حتى أن تقدي لمبادئ الشيوعية الماركسية (بنسبة لكارل ماركس) ولينين قد أدت الى تناول تروتسكي اياي بالتأنيب العنيف وقد اشتبكت مع زعماء الفاشستي كذلك في صراع عنيف . بيد أن مناقشتي لن تتناول هاتين الحركتين ومرامييهما من الوجهة العقلية بل روحيهما ونظاميهما وكلاهما مستمدتان من شبيبة التوم ، أما نظاميهما فمن الديموقراطية بحيث يسمح لكائن من كان أن ينتظم في سلكيهما مادام خاضعا لتعاليمهما قابلا للنظام الذي يفرض عليه والذي يتغلغل في شؤون حياة الإنسان بحيث يتسلط على حياة الفرد تسلطا يكاد يفوق ما تتطلبه الروح في عصرنا الحالي من السلطة المطلقة ، حتى أن الشيوعية تدعى الآن بأنها حلت محل الدين تماما . وبحيث تخضع كل الاعتبارات لهذا الاعتبار ، حتى ان الايطالي يعتقد أن الفاشزم تجرأها الخير العميم لايطاليا الذي تنقطع اسبابه دونها . وكذلك لشيوعي ينادي بأنه لا يستقيم توازن العالم دون معتقده وقد بدأت الحركتان كهيئتين اختياريتين قائمتا على أكتاف الشبان بحركهم وازع من الغيرة على الشؤون العامة والصالح العام بحيث يقبلون التضحيات ويواجهون الاخطار التي تنجم عن هذا التطوع . وأرى أنه من الحقائق ذات الخطر والهول الكبير أن في مقدور الفاشزم أن تجذب اليها من الشبان النشطين عدداً قادراً على التسلط على ايطاليا بأسرها والقبض على زمام الاحكام فيها وتوطيد مركزه في البلاد . كما أن في استطاعة الشيوعية في روسيا أن تضطلع بأعمال الحكم في تلك البلاد التي خربت بها الحرب العامة معتمدة على مائة الف

او ما يقرب من ذلك من انصارها ورد غائلة العدوان عنها من كل جانب . ويجب علينا التسليم رغم مكابرة الكثيرين أن السواد الاعظم في روسيا وايطاليا لا ينفر من التسلط المطلق الذى يفرضه احد هذين النظامين . ورغماً عن أن الكثيرين قد حرموا حق التصويت في هذين البلدين فانه لم تنفش فيهما مجاعة أصوات ولم تر قرويين متعبين في البحث عن مكان تسجيل الاصوات . ولذلك فتقريرنا للحقيقة التى اسلفناها وهى ان الرجل العادى المتمتع بحق التصويت لا يبالي شيئاً ما بصوته الذى يعطيه . ولا بالصالح العام . يس إلا تكلمة للحقيقة الراهنة التى لا تقل خطراً عن الاولى وهو ان هناك أقلية نشيطة التفكير والادراك قادرة على العناية بالشؤون العامة عناية حمة حية . ولذا فهى مستعدة لبذل كل تضحية لتسير الامور فى السبل التى تمنتقدها حقها . وهذا أكثر وضوحاً فى روسيا وايطاليا منه فى غيرها فى حين انه فى الصين هيئات الطلبة التى تشبه أنظمة الشيوعية فى روسيا والفاشستى فى ايطاليا وقد ساد سلطانها فى أكثر من نصف البلاد . بينما هناك جماعات نشيطة رشيدة مماثلة لهذه فى اليابان وبعض البلاد الاخرى تلعب دوراً هاماً فى الشؤون العامة يزداد خطره كل يوم . ولم تكن هذه الجماعات لتنشط وتشجع فى القرن التاسع عشر ، أو كان نشاطها قاصراً على السياسة البرلمانية مزجوجاً به فى ميادين أخرى . ولقد نرى فى جميع أنحاء العالم فريقاً من هؤلاء يحول نشاطه عن ميدان الكفاح البرلمانى وتشدّد خطاه نحو سبل أخرى فى ميدان الصراع مع النظم البرلمانية . من ذلك يتضح انى أبنى آمالى فى تكوين اتجاه جديد فى شؤون العالم على عقيدتى فى ان هناك أقلية جادة ذات خطر وسط السواد الاعظم من أبناء جنسنا القليل الا كثرات بطبيعته

إنى أعجز عن تفهم سبب حقيقى فى وجود كافة الديانات العظيمة فى الدنيا ، ولست بقادر على تكييف أية عملية انشائية فى التاريخ ، مالم أفرض وجود أقلية جادة رشيدة كهذه وسط معمران حياتنا المضطرب . فهؤلاء الرجال القادرون على التضحية والاخلاص ، القادرون على ان يحبوا لتحقيق أغراض سامية بعيدة عن آفاق السواد ، هؤلاء هم ملج الحياة . وما لم يتغير معدن الجنس الانسانى فهؤلاء

كثيرون كما في أي زمان مضى . بيد أني أرى هؤلاء يزداد تبرؤهم من الاحوال الحاضرة . ويزداد اخلاصهم للمبادئ التي راضوا أنفسهم على التعلق بها وللعقائد الموروثة . وأرى فيهم الاستعداد للبناء حول أية فكرة انشائية متى كانت من القوة بحيث تقنعهم . وحينئذ فيلا يكون من المعقول التسليم بان هذه اذبيئات والمجتمعات ، وهذا التركيز انقوى ذى النشاط الفكرى الذى يرمى الى خدمة الاغراض السياسية العليا . وهذه النهضة الجامعة بين الحرارة السياسية والغيرة الشبيهة بالدينية في المجتمع والتي بلغت قوة هائلة في عصرنا هذا - أليس ذلك كله دليلا على بدايات لاشياء نحن مقبلون عليها ، سوف تكون أكثر أهمية وأشد خطراً من كل ما سبقها من البدايات ؟

وان انهيار الاخلاص للمبادئ القديمة قد أطلق من العقال مجهودات وقوى جديدة ، ونشط الآمال في تطبيقات جديدة . وهناك فوق كل هذا حاجة العالم الى السلام الذى لن يتحقق الا بتكوين شكل ما من الوحدة السياسية باعادة التآلف الاجتماعى الذى لن يتم دون تناول كبريت المسائل الاقتصادية الشاملة . فى أنحاء العالم وتوحيدها داخل نظام شامل عظيم .



لقد انبت منذ اكثر من عشرين سنة مضمين فى كتابي « طوبى العالم الحديث » كيف يمكن أن تكون على الارض دولة عالمية تحكمها جماعة من المتطوعين الذين نصبوا أنفسهم لشؤون الصالح العام وقت لم تكن نمة حقيقة فى هذا الكون تؤيد مبدئي . ويمكننى الآن أن أتذكر هذا التصور لما يكون عليه المجتمع في المستقبل ، وامامى الامثال التي تضر بها روسيا والصين وايطاليا وغير ذلك من الحركات العالمية التي منها ماهو فى المهد ومنها ما درج شابا يناصر رأبي . وقد اشرت الى أن بعض هذه الحركات يقوم على اكتاف الشبيبة كما فى ايطاليا والصين بيد أنه لن يقتصر الأمر على الشبان ، بل سوف نجد قبولا ممن هم اسن في توجيه آمالهم واغراضهم ومرامي حياتهم المشتة بين شتى الغايات نحو مطامح سامية وآراء واسعة الآفاق . ويمكنك أن تتبر فى الشيوخ آلاماً وشجوناً

متولدة عن الاحساس بضآلة ما يدينون به وتبيان الغث من المعتقدات الراهنة والشعور بالخطر الذى يكتنفنا من الحياة فى ظلال هاتيك المبادئ العتيقة المتداعية . وما زالت الأمم تنظر إلى حياة ارقى واسمى وما زال البحث عن المثل العليا يعالج نفوسنا حتى الممات . وقصارى القول انا فى حاجة الى عناصر من الانسانية أكثر نشاطاً وأشد فتوة للسير بهذه الحركات فى نظام وليد ناشئ حررناه من تقاليد قديمة بالية . وقد أصبحت الحاجة ماسة للقيام بهذه الحركات ، ومازلنا بعد فى دور البدء فى تكوين الافكار وخلقتها وتعبئة الجهود . ولكن ماهى العوائق التى تحول دون نهضة سياسية ودينية نحو وحدة العالم الاجتماعية تقوم بها فى كل مكان الاقلية النشيطة المدركة المبصرة الجريئة من البشرية (وهذه الاقلية بهذا الوصف هي وحدها الجديرة بالاعتبار) . حتى ولو لم يحن الوقت لها بعد ؟ ان هذا جوهر ما ارمى اليه الآن . وهذا ما اعبر به عن أن وجه الديموقراطية المحررة الناهضة قد آذن بمغيب عند حد هذا الاعتبار وهذه المهمة . وعلى اننا فى مستهل وجه آخر وهو الديموقراطية الانشائية الخالقة . وهذا وجه روحى عظيم . واذا شئت أن تصل بين هذا الوجه أو هذا التصور وبين أية ديانة ديموقراطية كالمسيحية أو الاسلام أو البوذية أو ما يشبهها كالشيوعية — او صمها ديانة التقدم — فقل عنها ماشئت وان يحول ذلك دون ذكر اى رأى سرده من قبل . واذا اصاب تشخيصى للداء الاجتماعى فسيصبح هذا التحرك والتطور فى روح الديموقراطية باد فى كل أشكال التعبير الانسانى — لتحول من الجزئيات والنفسيات للكليات ومن التشتيت للتجمع والتكون ومن عدم السداد أن لانصوب نحو هدف ثابت يشمل الكون بأسره . وهنا التساؤل هل هذا واقع حقا — هل هناك فى الحياة السياسية ميل يسود أولى الادراك والبصيرة من القوم يقذف بهم نحو التبرم وعدم الرضى بالدور السالب الذى يمثلونه كمصوتين فى الانتخابات لاغير ، وان هناك عزماً على ان تكون لهم يد فى تسير دفة الامور بشتى الوسائل ، وأن تكون لهم ارادة انفذ واثراً بعد فى الشؤون العادية ؟ وفى ميدان الحياة العنانية ، هل هناك ميل يزداد كل يوم

لمناقشة شؤون العالم سياسية واجتماعية واقتصادية — هل تزايد المطبوعات التي
تعنى بهذا البحث ؟ هل هناك اهتمام اكثر حيوية وادرا كالهذه المتاعب
والشجون العالمية ؟ فاذا اصابنا نظريتي كبد الصواب فسوف تتغير روح القصة
الرواية التمثيلية . وسوف يعنىان بالمهام السامية . وسوف يكون موقفهما اراء شؤون
الحياة من الجهد والحرارة بحيث يشبه الروح الدينية . اى أن شؤون الحياة ستكون
جزئا حيويا من قصة العالم وشجونه . وان تكون القصة فى المستقبل كما كانت
مرآة حوادث لا تعتمد فى جذورها وحيويتها إلا على المصادقات وغريب الصفات
الفردية للبشر .

بل سوف تسير حوادثها نحو تحديد غرض أو ما أنعتة بجرأة — نحو « الدعابة
الانشائية » وسوف يتخلل حوادثها روح التساؤل — « ماذا ترمى اليه حوادث
هؤلاء الاشخاص » ؟ « والى أين هم مسيرون » ؟ وسوف يشمل هذا ، القصة
التمثيلية — فلن تصبح القصة الدائرة بمهارة السبك نحو موقف هام أو شخصية
بارزة . أفليست رواية برناردشو (سانت جون) وقصة تولر (الانسان والجماعات)
بشيران بزوغ شمس الديمقراطية الانشائية على مسرح التمثيل ؟
أفليس هناك ما ينبىء بانا مقبلون فى التصوير والتمثيل على التحول والتطور
من التصوير البحث والموسيقى البحتة الى عمق فى التعبير والمرمى والاشارة الى
شجون العالم واحزانه ومتاعبه ؟

ليس كل هذا الا تأولات . وما أجهدت نفسى الا لعرض هذه الوجوه
الجديدة فى حياة البشر مما نحن عليه مقبلون ، والتنبؤ عن الروح الجديدة
التي أعتقد أنها ستسير خطواتنا وتعبير عن شجوننا فى مستقبل زماننا .

العصور — نخشى أن تؤثر نظريات مستر « ولز » فى بعض العقول تأثيراً
يحملها على الاعتقاد بأن « الاقلية » التى يبنى عليها نظريته قد يمكن أن توجد
خارج البرلمان . فان هذه الاقلية لا بد من أن تنبت بين جدران مجالس النيابة
وهي قد تبلغ التأثير فى تعبير وجهات النظر والتشديد فى مجال السياسة والادب
والفنون مبلغاً ذا خطر الا اذا تكونت هذه « الاقلية » النشيطة الرشيدة فى جسم

حزب الاغلبية . فهي اقلية تقود احزاب الاغلبية وتتود من هذه الطريق الامم .
اما اذا خيل لاحد أن الاقلية التي يعينها مستر « ولز » هي على الضد من هذا
اخطأ خطأ كبيراً يبعده عن تفهم حقيقة الروح التي أراد أن يبدئها في بحثه هذا

رباعيات الخيام

بقلم الفيلسوف الزهاوى

طبع شاعر العراق الكبير السيد جميل صدقي الزهاوى رباعيات عمر الخيام
الفيلسوف الفارسي المشهور بعد أن ترجمها نثراً وشعراً . ولقد قابلنا هذه الترجمة
بعض التراجم التي ظهرت في العربية والترجمة الانجليزية لفتنجرالد . فوجدنا فارقاً
كبيراً بين المعاني وترتيب الرباعيات نفسها لم ندرك له من سبب وعلله يتاح لنا
فرصة أخرى نقوم فيها بمقارنة هذه الرباعيات . وسننشر في العدد القادم من
العصور ترجمة الرباعيات للزهاوى ليكون بين يدينا مجموعة من التراجم التي ترجمتها
هذه القصيدة المشهورة ، وعسى أن تمكننا الظروف على العثور على مصادر
تسهل لنا طريق البحث فنمضي فيه بتوسع .

ولقد ترجم السيد الزهاوى نسخته عن الفارسية فقد نشر ما في صلب ديوانه
(الرباعيات) الاصل الفارسي والترجمة نثراً وشعراً . والترجمة من حيث النثر
والشعر جليلة واضحة ككل ما يخرج من قلم فيلسوف العراق . وموعداً
العدد القادم .

هرطقة

والعياذ بالله

جاء في «تقويم البلدان» الذي يدرس في الوقت الحاضر بالجامعة الأزهرية العامة أن النيل يخرج من الجنة وأن منبعه يتدفق من تحت العرش والأزهر الشريف كما يعلم الصغير قبل الكبير والأعمى قبل البصير هو خلية النحل التي يقصدها المجدون من كافة أطراف المعمورة لنهل عسل العلم ثم توزيعه على خلائق الله بالقسطاس والعدل وبالطبع لا يدرس في الأزهر العامر إلا كل ماذكره السلف الصالح . وهال نطقوا إلا دررا غواليا لا يزيد بها مرور الزمن الا صقلا وزيادة في القيمة

وإذا كان الأمر كما سبق وذكرت ألا يعد من الهرطقة والعياذ بالله محاولة البعض تفنيد هذا الأثر المبارك . وهالا يستحق أولئك لعنة الله في الدارين ؟ اللهم احفظنا مؤمنين وابعد عنا الشك والكفر أنك على كل شيء قدير

أن في تقاويم البلدان التي تتداولها أيدي النشء في المدارس النظامية محاولة غبية لا ثبات ما يخالف بديهية خروج النيل من الجنة وتدفقه من تحت العرش وليست المدارس المصرية وحدها هي التي تنشر هذا الاتحاد بل تجده في كل الجامعات والكليات والمدارس حتى المكاتب الأولية المنتشرة في مشارق الأرض ومغاربها شمالها وجنوبها وذلك بين جميع الجنسيات أصحاب اللغات المختلفة والأديان المتنوعة وحتى اتباع الدين الخفيف قد استسلموا لتيار هذا الاتحاد . نطلب من الله لهم الهداية يدعى أولئك المنافقون الكفرة الملهدون الهرطقة أن رجلا كافرا غير مسلم —

تذكر هذا يارعاك الله وتألم منه قدر ماتريد وتشاء — واضنه مسيحيا أيضا — لا تنسى هذا — وعلى ما تذكر أن جنسيته انجليزية ، وليس من مواليد مهبط الانبياء ، يدعوته استأنلي — هكذا اظن — وهو اعجمي — ليس بعربي قرشي توصل الى اكتشاف منبع النيل . فكيف وطأت قدماء النجستان ارض الجنة المقدسة بل كيف لم تفقأ عيناه عند ما رفع بصره الى السماء راصدا نجومها لاجل

تعيين خطوط الطول والعرض إذ لا بد أنه فعل ذلك . فهل رأى جلال العرش الامر الذى لم تره عينان ولم تسمع به اذنان . ولكن من يدري فقد يكون ذلك الكاذب الغر الالبه قد ادعى ايضا انه رأى الذى يستوى على العرش . يالكفر ، يا للالحاد ، استغفر الله ثلاث مرات ، فانا ناقل فقط وناقل الكفر ايس بكافر

كذلك يدعى الرجل الدجال انه خالط ودرس احوال سكان الجنة فاذا هم في رأيه سود الوجوه ضخام الشفاه اغبياء كسالى يهيمون كالبهايم ولا يعرفون الآله العزيز الجبار فهل يصدق مؤمن ان هؤلاء النفر هم الطهيرة الابرار الذين يتنعمون بالطيبات ويكرعون السكوس بين الحور والولدان المخلدن ؟

رحمتك يا بارى الخلق فلست ارمى الى شيء غير توجيه نظر العلماء الاعلام الى محاربة الهرطقة وتكذيب هذه السفاسف التى تملأ رءوس اطفالنا فى المدارس النظامية تحت سمع الحكومة وبصرها

ان كذب هذا الستنالى ظاهراً كيد والا فلم لم يتابع سفره من هناك متتبعا دجلة والفرات وسيحون وجيحون وهى الانهار التى تنبع من الجنة أيضاً؟ فكان بالأقل يمر على بغداد والبصرة وهذان الى أن يكتشف أيضاً ما وراء السند حيث يسكن الغيلان ولم لم يدعى أنه دارحول جبل قاف وأخضع بأجوج ومأجوج ثم عبر بحر الظالمات وارتد الى مصر عن طريق بلاد البربر ؟ كذب ، نفاق ، غباء ، وحق الله أيها المسلمون نوحوا بالويل والثبور . وعظائم الامور . فقد انهد ركن الاسلام بهاجمة الطغام لتعاليم الازهر العامر الذى أشاده الملك القاهر فى عهده الزاهر

وهل هناك من يجراً على السكوت وبرنامج مدارسنا التى يتربى فيها النشء بمجوى هذا الضلال ؟ واديناها ! وأخجلناه من تقاعسنا

أيها الكذبة ان كان حقاً ما تدعون لمر على الجنة بن بطوطة فى طريقه من المغرب الى المشرق وهل هناك اثبات على كذب الفرنجة المدعين العلم أكبر من عدم ذكر الجنة فى رحلة ابن بطوطة ؟

وبالطبع طفح ستانلى هذا من طيبات الجنة وشرب من مائها الكافورى لذائق اللذيد الطعم وارتوى من نهري العسل واللبن فكيف مات اذن كما

تدعون ، لعنة الله على الكاذبين ؟ الا فاعلموا أن من ينهل مما حوته تلك الأنهار
يخلد الى أن يشاء الله شابا لا يداهمه مرض ولا شيخوخة

كذب . . أجل كذب كل الذى تدعون . الستم من ادعى أن مياه النيل
ملوث بمكروبات البلهارسيا والانكاستوما هل تصدقون ذلك عن المياه
المنحدرة من الجنة المقدسة التى فيها شفاء للناس ؟ يا لفظاعة ! الا تشاهدون
باعينكم مياه النيل البلورية ؟ الا تذوقون طعمها الحلو الشافى من الامراض ، المريح
من عذاب الحياة ؟ صبرا صبرا فسيظهر الحق ويزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا
ليحيا الازهر بعلمه ولتسقط المدنية المصرية بسخافتها وحجصها . علومك
يا أزهري أرقى من علوم كمبردج

ومالك أيها القارىء تذهب بعيدا أو هذه أهرام مصر تشمخ بانفها نحو
السماء عبرة وذكرى لأولى الالباب عليهم يتدبرون . ألم يدعى المصر ولوجيون
بلسان العالم المبتدع والمفكر المصرى الفيلسوف زعيم النهضة العلمية الحديثة فى
الشرق وحامل لواء العرفان ان خوفه وغير خوفه هم الذين بنوا هذه الصخور الشاهقة؟
إنها لا تعمى الاعين ولكنها تعمى القلوب التى فى الصدور . الا يعلم أولئك
المدعون أن باني الاهرام لا أحد الا عملاق بن درماق وكان طوله مائة ألف ألف
ذراع وكان عرضه يحجب ضوء الشمس عن ظهر الارض . بناها ظنا منه أن يتخذها
موطئا لقدمه ليتيسر له تحريك النجوم باصابعه فضربه الله ضربة قاضية وسخطه
جمادا . ودفن تسعاً وتسعين جزءاً من جسمه فى الرمال وأبقى الجزء الباقى
على سطح الارض عسى أن يعتبر أولو الالباب . فهل يتفضل مشعل العلم المنضى به
ظلمة الجهل الشرقى كما يدعى بنتقض كلمة مما ذكرت وله منى الشكر سلفا

أيها الكذبة الاغبياء اعلموا أن للاولياء دون غيرهم أربعين جسدا . وانولى الله
الجيلانى غفر الله عنه هو المخلوق الوحيد الذى « شافه بنفسه العرش اذ زهى مرة
بمكانته فانتفض يخفق بجناحيه كأنما زر على جسمانه ريش قشعم فكان بذلك
أول طيار من بنى الانسان ومضى يعزى كبد السماء فملك جبريل نعمة منه فغمره
غمزا بسيطا بجناحه فخر الولي يهوى بها الى الارض . ولولا لطف الله به فتلفه

حامى طنطا السيد البدوى على يده حين كان السيد وليدا يلعب مع لداته ونبيهه
الى أن لا يعود بعد ذلك الى الزهو لصادته رأس الولى الجيلانى الارض وزنها
يكون قد نتج عن سقوطه رض بسيط أو تساخ في جلد جبهته قيد شعره أو بالاقبل
اتسخت أثوابه من تراب الارض لو مسه بجارده الطاهر ؟

حسين محمود

العصور : ان من البيان لسحراً وان من هذا البحث العلمى المحكم
لحكمه . ولكن لا يجوز أن يكون استأنى هو ولى الله الجيلانى .



غريزة الجنس (١)

يحدث التوالد النوعي بامتزاج خلية حية منقطة من جسم ذكر باخرى منقطة من جسم انثى . ومن هاتين الخليتين ينشأ الجنين ويأخذ في التطور . وتتحكم في المملكة الحيوانية غريزة تدفع أفراد كل من الجنسين الى التقرب من أفراد الجنس الآخر ، وذلك في الوقت المناسب ، لاجراء عملية التلقيح .

ويكون التلقيح على أبسطه بين الانمك اذ يفرز الذكر مادته المنوية قريباً من الانثى في الوقت الذي تفرز هي فيه بويضاتها فيجذب الافرازان بعضهما . هذا هو ابط مظهر لاندفاع كل من الجنسين للعمل على استبقاء واكثار النوع وتكون جاذبية الذكر غالباً ايجابية في حين أن الانثى تقوم غالباً بعملية الجذب بطريقة سلبية فالذكر يطارد والانثى تستدرج

ومن السهل التفريق بين افراد الجنسين من أى نوع ويكون الفرق هذا واضحاً في الحجم او في تضخم عضو من الاعضاء كالاذن أو بيروز الاعضاء التناسلية فيسهل على المشاهد رؤيتها

وتتم عملية التلقيح المركب بحركات متتابعة تظهر كل منها بمظهر يخالف ماسواها . ففي الحيوانات الثديية مثلاً يحتاج الامر بعد المطاردة والاستدراج الى محاولة غرضها افراز خلايا الذكر الحية قريباً بقدر الامكان من مستكن بويضات الانثى لان ذلك لا بد منه اذا كان المراد ان يكون التلقيح مشعراً والسبب هو ان البويضات لا تجد لها بيئة صالحة للنمو الا حيث تفرزها الام . ولكي يسهل على الذكر القيام بهذه العملية تهيه الطبيعة عضواً يسهل به تلقيح عضو الانثى المتهيء لاقتباله والحاوى للحرارة الصالحة لنشوء الجنين فيها

كلما زاد ارتقاء الحيوان ازداد تنوع غريزته واصبح اكثر ميلاً للانمك في اللذة الجنسية ولذلك نجده يتبع طرقاً شتى ومحاولات مختلفة ويمكن ملاحظة

(١) ملخصة من كتاب النفسية الاجتماعية لوليم مكيدوجال ومن كتاب آخر لطبيب الماني عنوانه « النفسية الجنسية » اخذت مذكرات عن ترجمته الانكليزية ولكنني لسوء الحظ نسيت أن احتفظ باسم المؤلف

ذلك بسهولة من مراقبة الحيوانات الاقل رقياً . وهي تلبى دعوة الطبيعة في فصول معينة من السنة فقط . ولكن يحدث في الحيوانات الراقية هيج في الاعصاب يسبق عملية التلقيح وتتفاوت مدة هذا الهيج في القصر والطول بتفاوت درجة الرقى . وقد اندمج في الغرائز الجنسية لهذه الحيوانات الراقية نوع من العواطف اصبح بمرور الزمن يختلف عن العواطف الخالصة وبذلك كادت ان تكون غريزية راقية . فالتقبيل ليس أكثر من تعبير آلى عن وجود الحب الجنسى الذى هو مزيج من الحب الخالص المؤسس على الغيرية بانانية تدعوا اليها الغريزة الطبيعية

والحب الجنسى هو خطوة تسبق دائماً خطوة التلاقح ويظهر في الفرد من الناس في سن يسبق العمر الذى تتجلى فيه الغريزة الجنسية . فالطفل يندفع إلى تقبيل الانثى الجذابة المنظر تلبية لاهاجتها غريزة الجنس فيه وانك لترى بوادر الميل الجنسى متجلية في الاطفال فهم ميالون في سن مبكرة الى مصاحبة افراد من الجنس الآخر ويحاول كل فرد منهم الظهور بمظهر التفوق على امثاله . وكثيراً ما يرى الولد القليل (أو العديم) اخيرة بالمسائل الجنسية مندفعاً بقوة غير منظورة الى احضان فرد من الجنس الآخر ويتم ذلك على خطوات فيحاول اولاً الوجود بقرب أليفته ثم بعد ذلك يتبعها كظلمها وتعقب ذلك محاولة منه للامستها وحتى هذه الخطوة ينحصر اظهار الميل الجنسى في صورة هى الشعور بعدم الراحة وفقدان مالا يعرف ماهيته . لكن سرعان ما تنبهه الغريزة الى الاقدام للتعبير الآلى عما تكنه عواطفه وذلك بالتقبيل وبالطبع تكون النتيجة اللازمة انهاء عملية التلقيح

يقول الاستاذ فروود ان اللذة الجنسية كائنة حتى في الطفل اذ يشعر الذكر الصغير بها حين يلتقى بنفسه بين احضان والدته وكذلك الانثى الصغيرة تشعر بنفس الشعور بين احضان والدها ولكن مكدوجال لايسلم بهذا الرأى على أساس ان اختباراتهما لم تبين له أن هناك أى فرق بين مظهر الابن في يد أمه ومظهر الابنة في يد أمها وبين مظهر يهما في يد الوالد

ولكنه يؤيد فراود في رأيه من أن الخيال في سن السادسة قد يكون مظهرًا
لتنبه الغريزة في الطفل و يوصي بالعمل على تأخير عهد اشتغالها وذلك بتوجيه
نظر الصغير نحو الامثال العليا ونحو الالعب الرياضية أو بتحويل ميل الطفل إلى
أكبار الامومة او الاخوة . ولكن ذلك لن يدوم الا فترة محدودة تنبته بعدها غريزته
وهناك نوع آخر من اللذة الجنسية تنحصر في التخيل وظاهرة هذا النوع
من اللذة هو الانغماس في الموسيقى والغناء والشعر سواء كان منشوراً أو منظوماً .
وهذا نوع من التهييج الفكري الذي يحدث كنتيجة لعدم امكان الشخص
العثور على هدف يجذبه . وقد ينتج أيضاً عن الحاجة إلى تجارب . ونوع اللذة
هذا يسبق دائماً عملية التنفيذ الأمر الذي لا بد من حدوثه في وقت من
الاقوات . وينصح مكدوجالك بعدم السعي لأضعاف هذه الغريزة في الناس
لان في ذلك معنى لاندثار النسل

ويتسبب عن فصل الجنسين عن بعضهما توجيه هذه الغريزة الى وجهة ليست
مثمرة هي الاختلاط الجنسي الشاذ الذي يتم بين فردين من نفس الجنس . فعندما
لا نجد عاطفة الشخص الشبه غريزيه مجالا لاطفاء جذوتها بأي طريقة من الطرق
السالفة وذلك كنتيجة للفصل بين الجنسين — تتحول نحو فرد من نفس الجنس
ويتم الاتصال باكثر سهولة . لان عاطفة الميل إلى الجميل اذا تملك فردا تيسر له
الاتصال بالمتصف بالجمال إذا كان من نفس الجنس بسهولة . ذلك لان طبيعة
الاستدراج في الجميل تكون مفقودة في هذه الحالة والملازمة تكون سهلة بالطبع . وعلى
ذلك يتم الاختلاط بسرعة زائدة خصوصا اذا كان الشخص الآخر سلبى بطبيعته
ومن النادر جدا ان ياخذ الغزل والصبا به وقتا طويلا في مثل هذه الاحوال . لان
عملية الاستدراج التي هي من خاصيات الانثى تكاد تكون معدومة وما يقع لا يكون
اكثر من العمل لاطفاء شهوة جامحة . وقد يصادف ان يمس الطفل عضو الجنس فيشعر
بلذة تحرضه على مداومة مسه ومن رأى مكدوجال ان هذه ليست القاعدة اما
المؤلف الالماني فيعززها جهده قائلا انها السبب في تفشي عادة الاستمناء الصناعي
فاذا فرض ولاحظ الكبار ميل الصغار الى هذه العادة السيئة يجب عليهم تشديد

المراقبة على الطفل وعدم تركه مختلياً بنفسه وقد تنشأ هذه العادة عن الوراثة ويمكن في هذه الحالة فقط العمل على الاقلال منها إذ لا يمكن منعها منعاً باتاً . لانه لو ترك حبل الطفل على غاربه فانه يعرض صحته للتلف كنتيجة لانها كنه فيها . هذا من جهة ومن جهة أخرى فان العدوى تتسرب منه الى غيره من الاطفال الذين يخالطهم وذلك بتعليمه لهم ايها . ويجب ان تبدأ المراقبة والطفل في سن الثامنة او الاحسن وهو في سن السادسة .

وللأنني خجل طبيعي بمنعها عن اظهار رغبتها في اللذة .هما اشتد ميلها الى القيام بعملية التلبية . وهذا الخجل لا تكاف فيه . ويعزون ذلك الى ترددها في قبول او رفض القيام بعملية الانتاج على مثال الاب . فالطبيعة دائماً تدفع المرأة لانتاج الانسب . هذا بعكس الذكر السلي الغريزة الجنسية مثلاً . فهو يجري وراء اللذة لان رغبته فيها أكثر ولا يقدر للانتاج اية قيمة لانه معدوم لديه . فاذا ما وجد اى عرض عليه يقبله . ومن المشاهد ان الصلة الجنسية بين فردين مختلفين لا تتم بسرعة بل تحتاج الى وقت فالرجل لا بد له من ان يمر على ادوار تبدأ بالمطاردة فالمرء فالتعبير الآلى وتنتهى باللقاح . في حين ان المرأة تبدأ دورها بالاستدراج فالتمتع فالذبذبه واخيراً الاستسلام . اما الرجل السلي فلانه يجري وراء اللذة فما اسرع تلبية لما يعرض عليه خصوصاً وان الحياء الذى يعترض طريقه في المبدأ ليس الاحياء اخلاقياً اذا وظأه مرة اندثر شبحه من امامه بعد ذلك

وما عليك الا ملاحظة العلاقات الجنسية الشاذة في اوساط البحرية والحربية والمدارس الداخلية لتجد ان الاممهاك في هذه العادة السيئة ليس المقصود منه قضاء حاجة ضرورية كما يحدث بين فردين مختلفي الجنس بل تجدها تحدث لسبب او غير سبب مظهره التهييج . ومن اهم الاسباب الدافعة الى التفنن في هذا الامر مسألة الحجاب . فما دامت المرأة محجبة يتجه التفات من به ميل الى الجمال او من تحكمت فيه اللذة الى احد افراد جنسه وسرعان ما يقع المحذور لسهولة الاختلاء واللمس

اما الميل الجنسي السلي في الرجل فهو (كالايجابى في النساء) امر شاذ فالتكوين الجنسي قد يكون تاماً في الاعضاء كلها ولكنه يكون ناقصاً في الميل الى

التلبية أو الرغبة ومعنى ذلك أنك تجد امرأة صالحة للحمل تمام الصلاحية ومع ذلك تجدها أميل إلى القيام بالوجه الإيجابي (بدلاً من السلبي) من عمالية التلقيح . والسبب هو تغلب هذه الخصلة فيما ورثته عن أسلافها . كذلك تجد من الرجال من يصلحون للتلقيح تمام الصلاحية ولكنهم يتخذون وضعاً سلبياً (بدلاً من إيجابياً) وذلك لنفس السبب السالف الذكر

ويقول الدكتور الألماني أن قضاء البطن في رجل قد يشبه مثيله عند المرأة والعكس، وذلك نتيجة للتغلب الوارثي . اعني أن الظواهر التي تفرق الذكر من الأنثى قد تختلط زيادة ونقصاً بين هذا وذاك . وأن من المشاهد أن أغلبية الرجال الخنثين - الذين يمثلون دور المرأة - في أماكنهم الامتناع عن متابعة القبول دون أدنى اهتمام . وأما الأقلية فمن العبث إيقافهم عند حدهم . لأن الأول يجيبون طلب غيرهم أما لنوال ما يصبون إليه من المال أو كنتيجة لظروف مخصوصة إذا لم يعودوا في حاجة إليها لا يستسلمون . وأما الأقلية فاستعدادها يدفعها إلى الجري وراء هذا الموضوع حتى دون أن يتعرضوا للتجربة فإن عقولهم دائماً تكون مستعدة للتلبية فيتمخيلون لذة الاجتماع التي لم يختبروها بالمرّة وهذا بالضبط ما يحدث للمرأة

إن الانغماس في اللذة الجنسية سواء كانت شاذة أو غير شاذة يؤدي إلى الاستهتار فالاندثار كما كان الحال في دولتي الرومان واليونان . وكذلك شجيم الصغار على الاجتماع الجنس يؤدي إلى هدم بنيانهم وإلى انهدام صروح أخلاقهم كذلك يجب معرفة أن مصاحبة الولد للبنت تحت المراقبة تفيد كثيراً في تحويل الغريزة إلى وجهها العاطفي أي بمعنى آخر لاجل الرغبة في التلذذ يزيد الشخص أمد المطاردة أو الاستدراج . وفي هذه الفترة يحاول كل من الطرفين التخلق بالأخلاق المستحبة من الطرف الآخر وفائدة ذلك لاشك جريئة . ولكن هناك فائدة أخرى هي اختلاف وجهة نظر كل من الجنسين عن الجنس الآخر . فيكون للأنثى والاستطاف والميل إلى الجمال مجال يقل جنبه الميل إلى الشهوة الحيوانية التي تكون عارضة تماماً

فيجب والحالة هذه تفهيم الطفل قبل أن يندفع لتلبية نداء الطبيعة متى بلغ السن الصالح للقاح أن المرأة مخلوق محترم مستحق للاجلال والاحترام . وإن الزواج معناه الصداقة والتعاون . فإذا لم نفهمه ذلك لن يرى في المرأة إلا أداة للذة ووعاء للقاذورات . وبذلك يتمهقر البشر إلى مستوى الحيوانية مع فارق هو تفنن الناس في الاستزادة من اللذة بطرق لا تصل إلى اتباعها عقول السائمة إذا نشأ الطفل في وسط تكتسب فيه المرأة بضرب العصا لا تنتظر منه أن يرى من اللذائذ الجنسية إلا وجهها واحداً هو أحطها

عمر عنايت

ما هو الاتحاد

ملاحظات على رد

قرأت الرد الذي تفضل به ابراهيم أفندي حداد على ما كتبه بندي أفندي البيلاوني وكنت أود أن انتظر حتى أرى ما يقوله صاحب الموضوع ولكنه لسوء الحظ يبعد عنا مسيرة أسابيع طويلة لذلك أريد أن استفسر بعض أشياء من حضرة حداد أفندي

(١) ما معنى « الاتحاد » ؟ اليس هو عدم التسليم بصحة شيء ؟ فإذا كان هذا هو المعنى فكيف يكون الاتحاد قصد بل كيف يكون الاتحاد مبدأ في حين أنه لا يخرج أبداً عن أن يكون اعتراضاً على صحة شيء يقال ؟ هذا هو رأيي في الاتحاد . وبالطبع لا يكون لهذا الاتحاد سنن ونواميس فهو بعيد كل البعد عن أن يكون معتقداً . ربما صح لنا القول بأن الاتحاد (معرفة) الى درجة ما لان عدم التسليم بصحة فكرة اعتماداً على ما اثبتته التجارب ، فيه شيء من المعرفة . وليس معنى أن دارون أثبت هذه النظرية أو تلك . أو أن فلانا سفه تلك الفكرة أو هذه وجود « اعتقاد له سنن ونواميس مثل ما لغيره من الاعتقادات » فالإحاد خرج بذلك عن كونه (نظام) وبالطبع لا يجب أن نسأل بعد ذلك عما اذا كانت فضائله تتعادل أو تنقص عن فضائل النظريات الاخلاقية الاخرى . من هذا يظهر أن لحداد أفندي فكرة أخرى عن الاتحاد لم يتفضل بعرضها بعد

(٢) يقول حداد أفندي « الاعتقاد شيء والمعرفة شيء آخر » فهل هذان الشيئان متعارضان أم هما حقيقتان متممتان لبعضهما ؟ فإذا كان هناك تعارض ادن لا بد من درسه لا تباع الحقيقة انى كانت . أما اذا كانا . متممين لبعضهما فلم هذا التناقض الموجود فيهما والذي يشعر بوجوده كل انسان

(٣) لماذا يريد حداد أفندي من حركة الاتحاد وأن تشفى غايل الناس ! فلنفرض مثلاً أن رجلاً ادعى بأنه رأى تيساً يسير على قرنيه ولنتقول أن من يعيشون مع هذا الرجل كانوا بسطاء لدرجة صدقوا معها هذا الادعاء . فإذا قام من بين

قوم رجل الحد قد وأظهر عدم امكان حدوثه فهل من المنطوق
في شيء ان نسكته قائلين انك بهدمك لهذه الحرافة لا تبقى شيئاً يتسامر به
الناس ؟ وبالله ما الذي يكون قد أتى به هذا الرجل لو قال - كي يشفي غليل الناس
بل أنا قد رأيت تيساً يسير على ذنبه وأذنيه وكل ذلك حتى يشفي غليل الناس -
ويرد الطمأنينة الى قلوبهم ويريح أدمغتهم من التفكير

(٤) وكيف ينتظر حداد أفندي من الاتحاد - وهو سلبى انتقادی وليس
بمعاهدة ولا محكمه ولا مؤثر بسيكاجى - أن يبطل الحروب ويذهب بالشروع
ويبدل حال الانسان من تشاؤم الى تفاؤل . ان معنى الاتحاد ينحصر في أن شخصا
من الناس لا يسلم بصحة رأى على أساس كذا وكذا (فقط لا أكثر) وان شخصا
آخر أثبت أن تلك النظرية لا أثر لها من الحقيقة وان رجلاً ثالثاً اكتشف
أن هذا الامر هو كذا بعكس ما كان يدعيه الناس فكل من اقتنع بصحة هذه
البراهين أصبح ملحدًا والعياذ بالله

ط . ه . حنين

الغصن الذابل

أو

الصوت الحقيقى

ياساهر الليل يوارى الدجى ويلحظُ النجمَ بعين الملول
هل فى ضياء الفجر من سلوة للعاشق المحزون أو للعليل ؟

- ١ -

نامت عيون الناس لما خلت قلوبهم مما يثير الاسبى
ولاصقت جنوبهم فرشها لما رآته ناعما أملسا
لا يعرفون الليل كم ساعة ؟ الا قليلا منه عند المسا
عيونهم تنمو بحقل الدجى نوماً وعينائى نمت نرجسا

ياساهر الليل يوارى الدجى ويلحظُ النجمَ بعين الملول
هل فى ضياء الفجر من سلوة للعاشق المحزون أو للعليل ؟

- ٢ -

يحتاج نفسى كلما أوشكت أن يهدأ الهم بها - غيره
أشكو ولكن لا أرى أنى إلا كبيت ضمه قبره
غرس عوداً فى ربيع الصبا يلهف نفسى لم يفح عطره

حتى طواه الهم رأد النى فكفته... لم يحل عمره^(١)...

ياساهر الليل يوارى الدجى ويلحظ النجم بعين الملول
هل فى ضياء الفجر من سلوة العاشق المحزون أو للعليل ؟

— ٣ —

وجئت يوما ساقياً تربه بما تفيض العين، صافى الدموع
واذ بصوت من صميم الثرى يصرخ فى اقليل صراخ الوجيع
يستفبى فى حسرة قائلاً «هذا خريف العيش يطوى الربيع
الدهر ميت فى فراش الدجى والفجر اكفان لهذا الصريع»

« انظر الى الاحياء فى نومهم يرجون جعل النوم أيضاً حياه
يبنون من أحلامهم جنة يجرى لديها الخلد جرى المياه
ومنجل الحاصد قد صيغ من ذهب فيغريهم بريق سنه
ياهمهم الاخضر من زرعهم عن حاصد تعبث سرّاً يداه »

« دموعك اللاتى أسيلت على وجه الثرى، جفت كقطر الندى
كذلك الانفاس ، رددتها فى ظلمة الليل ، فراحت سدى
الارض عطشى لدموع الآسى والجو بر لا يرد الصدى
للكون قانون عليه مشيت بالامس دنيانا ، وتمشى غدا

(١) النعمير فى كفته عائد للمنى — يحل : أى لم يبلغ حولا من عمره

الكون باق سرمدى البقا اما سوى الكون ففانى المدى

الفضن إن يذوى يعد لثرى كالجسم يرتد الى أصله
فتم وخل حاصدات القضا تحصد زرع الناس من حقله «

— ٤ —

وغاب هذا الصوت فى نفسه فلم أعد أسمع غير النواح
هذا من القبر ، وذا صادر من جانب الفجر فأين الصباح ؟

*

— ٥ —

يا ساهر الليل يوارى الدجى ويلاحظ النجم بعين الملول
لا يترك الليل سوى ظلمة لا يسفر الفجر سوى عن طلول ...

شهرن كامل الصيرنى

الله !!

في صفاء الضحى عبت جمالك ونسيم الصباشمت خصالك
 في غناء الطيور فوق الافانين آلهي ! . انى سمعت مقالك
 في هزيم الرعود بين ثنايا الجو في البرق قد رأيت جلالك
 وباطاف الزهر المندى وميل الغصن غنجاً انى اجتليت دلالك
 ليس زهر النجوم إلا مصاييح تبث الانوار منها حيالك
 ليس دق القلوب إلا ترانيم نفوس مسبحات كمالك
 أى شىء لم يقتبس منك نورا؟ أى مال يارب لم يك مالك؟
 انما «رافائيل»^(١) لم يمسك الريشة إلا لكى يخط مثالك
 لا ولا «ميشيلانج»^(٢) لم يضربا أزميل إلا لكى نرى تمثالك
 لك شوقى وحى ، نصيبى وعزى لك نفسى قاصنع بها ما بدالك !
 أنت يارب ترى ما قد تجلى وتستر
 ليس ينأى عنك أمر ليس يخفى عنك منظر

(١) رافائيل سانزيو Raphael Sanzio صاحب التصاوير الناطقة التى ما زالت تثير مشاعر البشرية فتقف أمامها أسيرة الاعجاب والتقدير وهو من فناني المدرسة الرومانية ولد في رينوا عام ١٤٨٣ وما كاد يبلغ أشده حتى ذاع صيته وسما فنه الى أوج العظمة الخالدة ورغم أنه توفى في العام السابع والثلاثين من عمره فان عبقريته النادرة أفاضت على النهضة الأوروبية فيضاً قدسياً وأنت تشهد أهم آثاره في الفاتيكان تزدان بها قاعاته انواسمات

(٢) ميشيلانج Michel-anglo (١٤٧٥ — ١٥٦٤) من أشهر فناني ايطاليا ولد في كاريز من أعمال تسقانيا وتألّق بجمه في سماء الفن الجليل مما جعل الكثيرين يجمعون على انه أنبغ من انجبتهم ايطاليا الجميلة وقد كان له باع طويل في النحت تشهد على ذلك روائع نازه العديدة وفي مقدمتها تمثال «موسى» الذى تكاد تدب فيه الروح

اننى أبصر فى هذى البرايا الف مظهر
عجوزاً يمشى بذل وأميراً ينبخر
أعيناً مستبشرات وقلوباً تتفطر
وقويا يشخذ السكين ظالماً وهو يعذر
وضعيفاً نحروه مثلاً النعجة تنحرا
قوة الفرد هى العليا وحق الالف يغدر

ان هذا بعض ما يأسس فى الناس وينظر
والذى نحله نحن لدى الله مسطر !

نصبوا للانام شتى المصائد
كم جحود وغد في لئيم ، وراء
رب رحماك ! أنزل السخط ناراً
إنهم يبهمون ! لكنما القلب
ولقد زينوا القبيح بلون
خدعوا الساذجين ياما أعمى
ومن المعوزين قد جمعوا المال
يدكرون الآله فى كل آن
يهتفون البدار للدين ! والدين
أهدنى يارب انى
ما الذى أعمل ؟ قل لى
أم يظل القلب منى
هل أراعى الظلم ؟ أم هل

موردين الضعاف شر الموارد
قد تردى رداء افضل زاهد
وأبد زمرة تعيث الفساد
مشوب على العدالة حاقد
يبهر العين فاستدروا الفوائد
سكر فيهم وما أقل المحامد
وراحوا به لمد الموائد
ويتدون لاسماء السواعد
براء منهم ومن كل جاحد
لا أرانى مستقراً
هل أجازى الشر شراً ؟
حاملاً بؤساً وضرراً
أنثت الاشعار جرراً

هو ذا الغرب يبدد الحق في المشرق قهراً
 وبنو الشرق ينهسون على الاذلال صبراً
 يحسبون المصدف اللعاع فوق الرمل درأً
 رب الهمني ! فان الروح لا تنفك حيرى
 « أيها الانسان ناضل في سبيل الحق جهراً »
 « وابتعث حراً عزيزاً إن في العزة فخراً »

* *

انه صوت إلهي في فضاء الروح دنا
 انه النصيح . . وما أغزده للعقل معنى :

أنور شاول

بغداد :



ميكال أنجيلو



رفائيل

وثائق للتاريخ

حل مجلس النواب والشيوخ - تعطيل الحياة البرلمانية ثلاث سنين - إمكان تعطيلها لمدة أخرى بعد انتهاء امد التعطيل الأول - إعادة حق الادارة في انذار الصحف ووقفها والغائها .

١ - اصدرت الوقائع الرسمية بعد ظهر يوم ١٩ يوليه الماضى عدداً (غير اعتيادى) نشرت فيه أمراً ملكياً بحل مجلس النواب والشيوخ وتأجيل الحياة البرلمانية ثلاث سنين ومع الأمر مذكرة مرفوعة لجلالة الملك من هيئة الوزارة بمجموعة ، او كما يقولون باجماع الآراء . وقد بلغ ذلك الامر وكيل الداخلية على باشا جمال الدين إلى رئيس مجلس النواب .

٢ - لم يقتصر الأمر على هذا بل أن الأمر قد تضمن تعطيل بعض نصوص الدستور التى هي من الوقع اكبر مظهر من مظاهر الحرية التى تتمتع بها الامم الحرة . واليك نصوص المواد التى عطلها الأمر الملكى

المادة - ١٥ - فقرة ثانية - وانذار الصحف أو وقفها أو الغاؤها بالطريق الادارى محظور كذلك . الا اذا كان ذلك ضرورياً لوقاية النظام الاجتماعى المادة ٤٨ - الملك يتولى سلطته بواسطة وزرائه

المادة ٨٩ - الامر الصادر بحل مجلس النواب يجب أن يشمل على دعوة المندوبين لاجراء انتخابات جديدة في ميعاد لا يتجاوز شهرين . وعلى تحديد ميعاد لاجتماع المجلس الجديد فى العشرة الايام التالية لتمام الانتخابات

المادة ١٥٥ - لا يجوز لاية حال تعطيل حكم من أحكام هذا الدستور ، الا أن يكون ذلك وقتياً فى زمن الحرب او اثناء قيام الاحكام العرفية وعلى الوجه المبين فى القانون

وعلى أى حال لا يجوز تعطيل انعقاد البرلمان متى توفرت الشروط المقررة بهذا الدستور

المادة ١٥٧ — لأجل تنفيذ الدستور يصدر كل من المجلسين بالاغلبية المطلقة لأعضائه، جميعا قرارا بضرورة وبتحديد موضوعه . فإذا صدق الملك على هذا القرار يصدر المجلسان بالاتفاق مع الملك قرارها بشأن المسائل التي هي محل التنفيذ ولا تصبح المناقشة في كل من المجلسين إلا إذا حضر ثلثا أعضائه ويشترط لصحة القرارات أن تصدر بأغلبية ثلثي الآراء

٢ — أمر ملكي رقم ٤٦ لسنة ١٩٢٨

بمحل مجلس النواب والشيوخ وإيقاف تطبيق بعض مواد الدستور نحن فؤاد الأول ملك مصر

بعد الاطلاع على أمرنا رقم ٢٤ لسنة ١٩٢٣ بوضع نظام دستوري للدولة المصرية وعلى كتاب الوزارة المرفوع اليها بتاريخ ١٨ يولييه سنة ١٩٢٨ ، أمرنا بما هو آت :

مادة ١ — محل مجلس النواب والشيوخ . ويوقف تطبيق المادتين ٨٩ و ١٥٥ من الدستور .

وبناء على ذلك يؤجل انتخاب أعضاء المجلسين وتعيين الأعضاء المعيّنين في مجلس الشيوخ مدة ثلاث سنين من تاريخ أمرنا هذا . وعند انقضاء هذا الاجل يعاد النظر في الحالة لتقرير اجراء الانتخاب والتعيين المذكورين أو تأجيلهما زمنا آخر

أما السلطة التشريعية في فترة السنين الثلاث المذكورة أو في أي فترة أخرى تؤجل اليها الانتخابات فستتولاها طبقا لحكم المادة ٤٨ من الدستور وذلك بمراسيم تكون لها قوة القانون .

مادة ٢ — حتى يصدر أمر آخر يوقف تطبيق المادة ١٥٧ والجزء الاخير من المادة ١٥ من الدستور .

مادة ٣ — على وزرائنا تنفيذ أمرنا هذا كل فيما يخصه

صدر بمرأى رأس التين في ٢ صفر سنة ١٣٤٧ (١٩ يولييه سنة ١٩٢٨)

(فؤاد)

بأمر حضرة صاحب الجلالة

وزير الداخلية رئيس مجلس الوزراء

محمد محمود محمد محمود

وزير الموصلات وزير الاوقاف وزير الحربية والبحرية

عبد الحميد سليمان جعفر ولى جعفر ولى

وزير المالية وزير الزراعة (بالنيابة) وزير الحقانية

على ماهر ابراهيم فهمى أحمد محمد خشبة

وزير المعارف العمومية وزير الخارجية (بالنيابة) وزير الاشغال العمومية

احمد لطفى السيد على ماهر ابراهيم فهمى

٣ - المذكرة الوزارية

مولاي

تفضلتم جلالتم فاخذتم في سنة ١٩٢٦ بيد الائتلاف واعتمدتموه منهمجا
ملاعا لحاجة البلاد يجنبها مضار التحزب والانتقام ويرضي أطباعها في حكومة
ثابتة وطيدة .

وقد كان من الواجب لنجاح ذلك النظام أن تتعاون العناصر المؤلفة له تعاوننا
قلبياء، وأن تصرف جهدها الى تحقيق وجوه الاصلاح المختلفة وأن تجرى
الاعمال في جهات الحكومه جميعا على سنن العدل والمساواة .

ولم يشك أحد حين قام الائتلاف في أن الداخلين فيه طابت به نفوسهم
وخلصت له نياتهم . واذ كان المصريون في الواقع متفقين في المقاصد والوسائل
ولم يكن بينهم خلاف يرتكز على تشعب الآراء أو تباعد ما بين وجهات النظر،
فقد كان المقدر أن الانتقام الذي كان شخيصيا في أصله ونشأته صائر حما إلى
الزوال فيعود المصريون كما بدءوا متحدين .

على أن فئة قليلة هيأت لها المصادفة المحضة في هذا العهد الاخير مكان

الزعامة من حزب الاكثرية مارالت ، في حرصها على الاستئثار بالامر ، تنقض أسباب التعاون وتسترسل في حزبية شديدة الخطر على المصالح العامة ، مدعية أن الانقسام جاء من انفرادها بالتمسك بحقوق البلاد جاهدة في نشر ذلك الوهم عاملة على توسيع نطاق الانقسام واستدامة أسبابه .

ومما يؤسف له أشد الاسف أن آثار الانقسام نقلت إلى دوائر الحكومة وكان لها شأن غير ضئيل في أعمال الموظفين وأحوالهم . ولا يخفى ما يترتب على ذلك من افساد نظام الاعمال وتعمير مصالح الجمهور للعسف والعبث ومن نشر القلق والاضطراب بين الموظفين .

كذلك انتقلت هذه الآثار الى أفراد الامة فاضطربت بها العلاقات والروابط بينهم بل انقلبوا بعضهم حربا على البعض وتزعزعت أسباب التراحم والتضامن في الاسر .

ثم انتهى الامر الى أن أصبحت الحياة النيابية نفسها أداة لطغيان تلك الفئة واستبدادها مستعينة بالكثيرة اضطرت الى ممالأتها أو مداراتها بين رجل مخدوع فيها وآخر يخشى شرها وثالث يطمع في خيبرها . ولذلك عجزت تلك الحياة النيابية عن تحقيق أخص ما يرجى فيها من انفاذ الاصلاحات المختلفة في المرافق العامة للبلاد .

تلقاء هذه الحالة أبت حكم جلالكم الا أن تعالج الامر بالوسائل الحاسمة انفاذا للبلاد مما يتهددها من خصومة دائمة ونظام حكم عاجز مضطرب ، فأقلمت الوزارة السابقة وعهدتم بالحكم الى هذه الوزارة .

ولقد أطالت الوزارة النظر في الشؤون الحاضرة تلتمس وجوه العلاج لها فلم تجد لذلك سبيلا الا أن تعمل على تخليص البلاد من تلك المؤثرات المصطنعة كما تعود الاحوال الى سيرتها الطبيعية وان تعود الاحوال الى تلك السيرة الا اذا علم الناس حقائق الامور وانكشفت لهم أسباب التفرير واستبانوا كيف كان الانقسام مصطنعا لمصلحة تلك الفئة القليلة وكم جر على البلاد من مضرار وشدائد . كذلك لن تصل الامور الى قرار الا اذا خلص الافراد مما

كان يرمقهم من ضروب الاعتداء والتشهير الباطل ، فامنوا أن يبدووا أراءهم في غير حرج ، والا اذا اعتقد الجميع أن المرافق العامة ومصالح الدولة يجرى الامر فيها بالحق والعدل :

ولكن المؤثرات المصطنعة التي أفضت بالبلاد الى الحالة التي تثن منها لا يمكن أن تنقطع أسبابها في الوقت القصير . على أن الوزارة ترجو أن تكون ثلاث سنين كافية في هذا السبيل كذلك لا تنقطع أسبابها مع بقاء العوامل التي سهلت قيامها وكفلت لها القوة والانتشار .

ولما كان البرلمان في حالته الحاضرة لا يعين على الوصول الى الحالة التي تتفوق اليها البلاد وجب ألا يكون من ناحية أخرى عقبة في سبيل الاخذ بالاسباب الموصلة لها .

لذلك لا ترى الوزارة بدامن حل المجلسين وتأجيل الانتخابات الى الوقت الذي يرجى فيه أن تنجلي ارادة الامة على وجهها الصحيح .

كذلك ترى الوزارة أن ينظر في قانون الانتخاب وما يتصل به من أحكام الدستور لتعديل ما قد يكون في تعديله اصلاح الحالة التي سبق وصفها . على أن النظام النيابي والمسؤولية الوزارية لن يمسهما التعديل بحال من الاحوال

وما كانت الوزارة لتقدم على حل المجلسين وتأجيل الانتخابات طواعية واختياراً ولكن يلجئها الى ذلك الجلاء ضرورة الخلاص من الحالة الحاضرة ، والحاجة الى نظام ثابت مرضى ، يعيد للبلاد وحدتها وتبهيء لها سبيل معالجة قضية استقلالها على وجه يحتمق كامل أمانيتها . والوزارة شديدة الايمان بأنها تصدر في ذلك عن حاجات الامة الحقيقية واجماع أهل الرأي فيها

وقد اعتزمت الوزارة أن تأخذ نفسها في ادارة الشؤون العامة في فترة تعطيل الحياة النيابية ، باجراء العدل ، وبتحقيق المساواة في غير تحيز أو حزبية ، وبتأييد الحريات في حدود القوانين ، وبتنفيذ الاصلاح في المرافق العامة ،

الذى طال على البلاد أمد انتظاره ، وترجوا أن توفق الى ما قصدت له فى ظل
عطف جلالكم وبفضل تأييد الأمة

فاذا حازت الاعتبار المتقدمة قبولا من جلالكم ، تفضلتم باصدار
أمركم الكريم بحل مجلس النواب والشيوخ وإيقاف المواد ٨٩ و ١٥٥ و ١٥٧
والجزء الاخير من المادة ١٥ من الدستور

وان الوزارة ، وهى ترفع الى سدتكم العلية آيات اخلاصها لتبتهل الى الله
بالدعاء بان يحفظ للبلاد ذات جلالكم الكريمة مؤيدة بتوفيق الله

١٨ يولييه سنة ١٩٢٨

أحمد محمد خشبة	عبد الحميد سليمان	جعفر ولى	محمد محمود
أحمد لطفى السيد	ابراهيم فهمن	على ماهر	

مستقبل الشمس

عن سير « جينز » سكرتير الجمعية الملكية البريطانية

هل النظام الشمسي سائر الى الانحلال ؟ — كيف يضمحل جرم الشمس — المستقبل البعيد والقريب — تناقض قوة الجذب بتناقض جرم الشمس — اتساع فلك الارض والسيارات — الجبالرة والاقزام — تغير جرم الشمس — مستقبل الحياة الانسانية

— ١ —

في سنة ١٦٠٤ بدأت إحدى نجومات كوكبة الحواء Constellation serpentarius تشع بمقدار مضاعف لقوة أشعاعها الاصلى عدة مرات. أما النيازك المتحركة وذوات الاذنان فأشياء عرفها الانسان منذ أقدم أزمان التاريخ. على أن هذه « الاشباح » كما أظهر « غاليليو » بعيدة عن عالمنا الارضي جهد البعد ، بل هي تابعة لعالم النجوم الثوابت ، وذلك العالم الذي اعتبر حتى عهد قريب ثابت لا يتغير ، جامد لا يتبدل ، وأن كل شيء فيه خالد خلود السرمد والأبد . وعلى هذا نجد أن « غاليليو » قد أثبت ، في أوائل القرن السابع عشر ، أن كل شيء في العالم ينتابه التغير ويطرأ عليه التبديل ، حتى عالم النجوم الثوابت .

أما المعتقد الثابت القائم في رؤوس العلماء اليوم فينحصر في القول بأن « التغيرات » سنة تجري على الاجرام السماوية ، بل على كل ما يتضمن الكون من صور الوجود . والشمس ، التي هي مركز نظامنا الكوني ، تظهر يوماً بعد يوم كأنها كما كانت في اليوم الذي فرط ، وهي تظهر كذلك منذ أبعد أزمان التاريخ

الإنسانى ، الذى يعتبر اذا قيس بعمر الكون كسنة من النوم أو برهة وجيزة من
مقاس الزمان كما يدركه العقل الانسانى ، فيراها الجيل بعد الجيل وكأنها هي
بذاتها لم ينقص جوهر واحد من جواهرها ولم تفقد شيئاً من قوة أشعائها . وما
السبب فى هذا الا أن الشمس وهي سائرة فى سبيل التغير ، انما تتغير ببطء كبير
فهي تحيا حياتها وتمتدح سياحتها من يوم مولدها الى يوم مصرعها ككل
الموجودات الكونية ، كالانسان والحيوان والنبات . تجري عليها سنة الوجود ،
وتخضع لقوانين البدء والانتهاء . أما البرهان الساطع على هذا القول ، فتلك
الكميات الكبيرة من الضوء والحرارة التى ترساها كل يوم الى ما يجاورها من
الاجرام ، والتى تمتدح بها فى ما يحيط بها من فضاء لا يتناهى ، ولا يبلغ الى
حدوده الوهم .

إن الحرارة والضوء يميلان ثقلاً معيناً . ثقلاً حقيقياً نتكلم فيه كما نتكلم
فى طن من الفحم أو قنطار من الحديد . فاذا قلنا مثلاً طنّاً من الحرارة أو طنّاً
من الضوء ، انطبق كلامنا على الحقائق العلمية ولم نعد الصواب قيد أصبع .
وليس معنى هذا أننا نحصل على طن من الحرارة أو طن من الضوء اذا نحن أحرقنا
طنّاً من الفحم ، كلا . فأننا اذا أحرقنا طنّاً من الفحم فإنما نحصل على جزء من
مليون جزء من اطلل ضوء أو حرارة ، والباقي يكون رماداً ورجوعاً — وهو بقايا
الفحم بعد انطفاء جذوته — أو مواد تختلط بأوكسيجين الفضاء . فاذا وقع الضوء
على سطح ما فأنارده ، فإنه يحدث فى ذلك السطح « صدمة » Impact كما
يقولون فى الميكانيكيات — هى نتيجة لثقله . فاذا وجه الى الانسان كمية من
الضوء كافية لثقل . فإنها تصرعه ، كما تصرعه كرة المدفع تماماً . وهذه « الصدمة »
التي يحدثها الضوء لدى وقوعه على سطح ما ، تمكنا من قياس ثقله ، كما نستطيع
تماماً أن نقيس ثقل كرة يقذفها مدفع ، من مقدار « الصدمة » التي يحدثها فى
هدف توجه اليه . ولا جرم أننا نضطر فى هذه الحال أن نعرف مقدار سرعة كرة

المدفع تماماً . أما سرعة انتشار الضوء فمعروفة على وجه الدقة والضبط ، وهي ١٦٨٠٠٠ ميل في الثانية .

— ٢ —

كل بوصة مربعة من سطح الشمس ترسل ضوء وحرارة يحدد مقدارها بضوء كشف قوته خمسون حصاناً ، وهذه الكمية من الضوء والحرارة تحمل من جرم الشمس ثقلاً مقداره أوقية — من كل بوصة مربعة — في مدى الفين من السنين . وقد يلوح لنا أن هذا المقدار ضئيل ، ولكن اذا ضربناه في مجموع سطح جرم الشمس مقبلاً بالبوصات المربعة ، وجدنا أن الثقل الذي تفقده الشمس مرسلًا في صورة « اشعاع » هو بمعدل ٤٠٠٠٠٠٠ طن في كل ثانية ، أو بالتقريب ١٥٠ ضعفاً لمقدار الثقل الذي ترسله شلالات نياغرا في صورة ماء .

غير أن شلالات نياغرا تغذى دائماً بماء جديد يهبط على الأرض مطراً . في حين أن الشمس لا تزود بثقل جديد من المادة . فلماذا وجب علينا أن نعتقد أن ثقل الشمس آخذ في التضاؤل . فهي اليوم أضال من الامس بمقدار ٣٦٠٠٠٠٠ مليون طن ، وهي في الغداة أضال منها اليوم بمقدار ٣٦٠٠٠٠٠ مليون طناً أخرى . وفي هذه الحقيقة دون غيرها تقع على السبب الذي نعلل به اطمعان الكواكب في التغير والانحلال على التتابع . فانها « تبدل » مادتها وترسلها في صورة اشعاع تقذف به ما يحيط بها من جوانب الفضاء . وكذلك شمسنا ، فانها تهدم كيائها وتفتى جرمها ، لترسله شعاعاً ، هو أحوج ما تحتاج اليه حياة وليداتها اللاتي يكون ما نسميه بالنظام الشمسى .

— ٣ —

لاخفاء أن نظاماً كهذا لا يمكن أن يستمر كما هو الآن الى الابد . ولكن في الشمس من الجرم المادى ما يكفي لان يجعلها ترسل ضوءاً وحرارة بنسبة ما ترسل الآن ... ر ... ر ١٥ سنة أخرى . غير أن هذا لا يمكن أن يقع بمخذا فيره .

فعلى الرغم من أن الطبيعة لا تترك وراءها كميات كبيرة من الرماد والرجوع ، فإن الشمس لن تحرق نفسها بنفسها إلى آخر طن من ثقلها المادى ، وهي كذلك لا تستطيع أن تحتفظ دائماً بنسبة ما ترسل اليوم من اشعاع فى نواحي الفضاء . فإن كل سنة تمر من عمر الشمس ينقص معها جرمها الاصلى ، وبذلك تقل قدرتها على الاشعاع . وليس يتف الأمر عند هذا الحد ، بل أن تناقض جرم الشمس تتناقض معه قوتها الجاذبة على السيارات التى تدور من حولها ، وبذلك يتزايد اتساع افلاكها على التتابع . فإن الأرض مثلاً تبتعد عن الشمس ، من طريق اتساع فلكها ، بمعدل ياردة واحدة فى كل قرن من الزمان . وعلى هذا يترتب أن تكون كل سنة من السنين اطول قليلاً من حيث الزمان ، وأبرد قليلاً من حيث الطقس ، من السنة التى سبقتها .

على أن هذه التغيرات ضئيلة جداً ، حتى أن الحوادث استمرت متتابعة للنسبة التى تقع بها الآن ، فإن التغيرات التى تتجمع خلال ... ر ... ر ١ من السنين فى مستقبل الزمان ، لا يمكن أن تحدث فرقاً كبيراً عن حالات العصر الحاضر . فبعد مليون من السنين لا ينفد من كل رطل من جرم الشمس بالاشعاع ، حرارة وضوءاً ، الا أوقية واحدة من ستة عشرة أوقية (على حسب القاعدة المتبعة فى تقسيم الرطل الانجليزى) وتكون السنة أزيد ١٠ فى المائة والمناخ أبرد بنسبة ٢٠ الى ٣٠ درجة منه الآن . ولكننا على كل حال نرى أن الحياة ممكن أن تبقى على وجه الأرض مليوناً أخرى من السنين .

— ٤ —

هل فى النظام الكونى جبابرة وأقزام ؟
ولكن هل يمكن أن يستمر وقوع الحوادث الكونية بذات النسبة التى تقع بها الآن ؟ فإن الراجح أن الشمس قد ولدت منذ ... ر ... ر ٧ و ... ر ... ر ٨ سنة مضين ، فى صورة كرة من الغاز انفصلت عن سديم لولبي . ولا خفية مطلقاً فى أن حجمها كان أكبر مما هو عدة مرات ، كما كان اشعاعها أقوى وحرارتها أشد أضعافاً . أما تاريخها منذ وجودها فكان عبارة عن تناقض

في الحجم بصهر مادتها الاصلية ، وتضاؤل في العظمة ، تابع لتضاؤل في الجرم .
والغالب أن تناقص جرم الشمس لم يستمر دائماً بنسبة واحدة ، وانه لم يكن متواصلاً . بل كان متراوحاً بين درجات من السرعة والتباطىء . ذلك لان حجم الشمس الثابت لا يؤيد الفكرة باستمرار تناقصها على نسبة واحدة مستمرة ، بل يرينا أنها تتبع في ذلك نظاماً تلوح لنا فيه أنها تتناقص في احجامها بنسبة فجائية . فان في النظام الكوني جابرة ، هي عبارة عن شمس عظيمة حتى ان عدة ملايين من الشمس في حجم شمسنا هذه اذا اجتمعت يمكن أن تبتلعها في جزء من جوفها العميق . وكذلك في ال كون « اقزام » توازي شمسنا من حيث الحجم . بل هنالك اقزام صغيرة نسميها « الاقزام البيضاء » تكاد تكون في حجم سيارنا الارضى قد ضغطت مادتها وتلاصقت حتى أن مائة طن من مادتها قد لا تملأ علبة واحدة من علب لفافات التبغ المعروفة

أما السبب الذي يحدث هذه الفروق الحجمية ، فارجح ، كما سبق واطهرت من قبل ، بأنه راجع آخر الامر إلى اختلاف احجام الجواهر الفردة في الاجرام المختلفة . ففي داخل « الاقزام البيضاء » تكون الحرارة على أشدها حتى أن الجواهر الفردة لا تستطيع أن تكون من حولها حلقات من الكهارب تحميها وتحفظها فكل جزء من المادة يكون محوياً في أقل فراغ ممكن . اما في « الاقزام العادية » التي هي أقل حرارة من تلك ، كشمسنا هذه ، فإن أكثر الجواهر الفردة يكون لها حلقة من الكهارب تحدث فراغاً من حول الجواهر وبذلك يزداد حجمها زيادة كبيرة ، في حين أن الجواهر الفردة في « الجابرة » وهي أقل حرارة من الاقزام ، يحيط بكل منها حلقتان أو ثلاث حلقات من الكهارب تلازمها .

على اننا اذا تركنا هذه النظريات وأمثلة جانباً ، ولم نعمد إلى تعليل الظواهر المرئية ، لم نستطع إلا أن نسلم بتلك الحقيقة الثابتة ، وهي أن هنالك فرقاً كبيراً في الحجم بين « الاقزام البيضاء » وغيرها من النجوم التي تشابه شمسنا هذه .

أن شمسنا الآن قريبة جهد القرب في أن تزل في تلك المهواة التي إذا تردت فيها أصبحت من « الاقزام البيضاء » . والجائز أن يحصل هذا في عصر قريب من العصور الفلكية . في حين أن « الاقزام البيضاء » قليلة الاشعاع جداً ، حتى أننا لم نجد حتى الآن جرمًا من هذه الاقزام يمكن أن يرسل من الاشعاع ما يوازي جزء من ثلاثمائة جزء من الاشعاع الذي ترسله شمسنا . فإذا انقلبت الشمس « قزمًا أبيض » ، اشتدت برودة الأرض تبعاً لذلك حتى يتعذر أن يبقى فيها شيء من الاحياء . وهذا التغير الطبيعي ، وإن ظهر من وجهة النظر الفلكي كأنه فجائي وقتي ، يحتاج إلى عدة ملايين من السنين ، حتى أن ... ر ... من اجيال البشر الذين سوف يعمرّون الأرض منذ اليوم سوف لا يشعرون بأي تغيير مهما كان ضئيلاً . ولهذا السبب لا نستطيع أن نحكم حكماً مقطوعاً بصحته في ما اذا كان هذا التغير قد أخذت أسبابه في الوقوع بالفعل . غير أن « الزمان » الفلكي إنما يتحرك ببطء شديد ، ولهذا لا يمكننا أن نحكم إلا ترجيحاً فيما اذا كانت هذه الحادثة — أي انقلاب الشمس إلى قزم أبيض — تكاد تحمل الآن ، ام انها سوف تقع بعد في خلال المليون القادمة من السنين . فان شجرة في حالة الانحلال قد تسقط على الأرض في أية برهة ، ولكن ليس لنا أن نقول بانها تسقط خلال دقيقتين أو ثلاث دقائق من الزمان ، لان الشجرة قد تظل وأقفى في موضعها عدة آلاف من الدقائق بعد أن يصيبها الانحلال .

— ٣ —

وكيف يكون مستقبل الحياة الانسانية ؟

على الرغم من أن انقضاء الحياة فوق الأرض قريباً لا تؤيده الاحتمالات حتى اليوم ، فإن كل المرجحات العلمية تدل على أن الأرض سوف تعضد الحياة ، لميونا آخر من السنين . اما الحكم في أن أعقابنا سوف يعمرّون الأرض من بعدنا ، فذلك أمر يتوقف عليهم كما يتوقف علينا . فالإنسان قد يفنى نوعه في حرب طاحنة يزين اليه بها جنونه وخرقه ، أو من الجائز أن تهمل الجماعات الانسانية التدرع بالعالم ، فينشأ في الطبيعة نوع آخر يتغلب عليه ويمحوه من الوجود

أما وحي « السماء » فيدل على أن الإنسان سوف يظل سيد هذه الأرض مليوناً من السنين . أما بعد ذلك فسوف يخيم على الأرض ظلام الموت ، فتسحق الحياة في صفحتها .

أما المدنية الإنسانية ، ومن ورائها عشرة آلاف من السنين هي ماضيها ، ومن أمامها مائة مليون ضعف من الماضي هو مستقبلها ، فأنها ولا شك لا تزال في غرارتها . أما الذين سيعيشون في تلك الأزمان المستقبلية ، فسوف يذكرون زماننا هذا فيقولون : « فجر المدنية » . سوف يقولون بأن عصرنا هذا هو عصر البطولة التي بدأ الإنسان فيه يذلل قوى الطبيعة ويجوب أنحاء الأرض الجرداء الموحشة ليكون « جماعاته الأولى » على أساس فيه بعض الثبات والنظام . إن على أكتافنا اليوم مسؤولية خطيرة . مسؤولية وضع القواعد الأولية والاسس التي سوف يقوم عليها بناء المدنية في أبعاد أيام المستقبل .

الاعيان والافعى

اسطورة عربية

اخوان يرعيان قطيعيهما فى بطن واد خصيب . الف الحب بين قلوبيهما وربطت بينهما المصاحبة برباط الصداقة فكانا شريكين ما عرف أحدهما عند الآخر من حق يطالبه به ، وكانا حبيبين ما أثرت مصالح الدنيا على حبهما ولا تدخلت المطامع فيما يمكن أن يكون مفسدة للحب أو مخبئة للحكم الوثاق الاخوى اعتاد أكبرهما أن يأوى فى الظهيرة الى مستظل بالقرب من جبل قائم على جانب الوادى الذى يرعيان فيه ، وكان اذا لجأ الى مستظله خرجت اليه من أصل الجبل أفعى من الافاعى الكبيرة فتلقى اليه بجمهرة ثمينة يأخذها غنيمة باردة ثم تعود الى وجرها من غير أن تفكر فى أن تؤذيه أو يفكر هو فى ايذاءها .

وظل الانسان والافعى على صداقتهما زمانا طال أم قصر . ما قصرت الافعى يوما فى أن تفذف اليه بالجمهرة ، وما فكر هو يوما فى أن يطمع فى أكثر مما تأتيه به . ولكن لماذا لا يقتل الافعى ويستنفد كنزها ويستأثر به جملة واحدة ، بدل أن يحصل عليه أقساطا ونجوما ؟ ولماذا لا يلعب الطمع بعقله فيقتل الصديقة ليفوز بغيراتها الكبير ؟

أكب على فأس محمد غرابها ، وأخذ يتربص بالافعى الفرص . حتى اذا كان ذات يوم وقد اشتد الحر واستلقى كبير الاخوين فى مستظله وبجانبه أخيه وتحت ابطه فأسه الباترة خرجت الافعى لتلقى اليه بجمهرتها الثمينة ، وما كادت تفعل حتى بادرها بضربة فأس على رأسها آذتها ولكن لم تقتلها . وشدت الافعى على أخيه فقتلته لساعته ورجعت مسرعة الى وجرها .

وأخذ الندم على فعلته ، وتذكر ما كان من اخلاصها له ، وما كان من خيانتها لها ، فاراد أن يضافيها ، على أن تزوده كل يوم بتلك الجمهرة التى كانت تاقمها

اليه . فقالت له الافعى . امامك قبر لاتصفو لى ابدا إذا مارأيتة ، وفوق رأسى
ضربة لا اصفولاك ابدا اذا ما تذكرتها .

واصاغ النابغه الديباني هذه الاسطورة فى أبيات هى من اجزل ماتقع عليه فى
الشعر العربى قال

كما لقيت ذات الصفا فى حليفا	وكانت تريه المال غبا وظاهرة
فلما رأى ان قد تكثر ماله	وأثل موجودا وسد مفارقة
اكب على فاس يحد غرابها	مذكرة من المعاول باثرة
فلما وقاها الله ضربة فأسه	ولله عين ما تغمض ناظره
قال تعالى نجمل الله بيننا	على مالنا أو تنفدى لى آخره
قالت يمين الله افعل اننى	رأيتك سخرىا يمينك فاجره
ابى لك قبر لايزال مقابلى	وضربة فاس فوق رأسى فاقره

جورج برنارد شو

ولد في سنة ١٨٥٦ (١)

نشأ شو الروائي الاجتماعي في أيرلندة ، ولذا اختص قضيتها بحجز غير قليل من فنه . وانك وأنت تقرأ حملاته الشعواء على الثقافة والمدنية البريطانيتين لا يسعك الا الاعتقاد بأنه ينتقم لأمته المستعبدة . هو مغرم بالدفاع عن الحرية وكتاباته عن القضية المصرية أشهر من أن تذكر . مذهبه الاشتراكية فترى دعوته اليها تكاد تكون مثبتة في كل سطر يكتبه . ملحد ، كتب عن المسيحية مقدمة طويلة قد تسمح الظروف بتخليصها بتوسع . فهو بالاختصار يعتقد أن المسيح لم يكن غير أسطورة كهملت ، وأما مادة العهد الجديد فلا تستحق الاهتمام الذي يشيره رجال الكهنوت عنها خصوصاً وان زبدته مستقاة من كتب اليونان والصين . يستخف بالمسيحية لدرجة عظيمة وله معارضات لبعض الوصايا مثل « لا تعامل الناس بمثل ما تريد أن يعاملوك به فقد تكون مشار بهم مخالفة لمشربك » يناضل عن حرية المرأة بكل ما أوتي من قوة طالباً لها المساواة التامة بالرجل دون قيد ولا شرط . رأيه في الاخلاق انها تتبع سنة التطور ، ولذلك يجب أن لا تفل على حالة واحدة شو كاتب اجتماعي أكثر من كل شيء . يحمل حملات قاسية على الانظمة الاجتماعية السائدة وخصوصاً نظام الزواج وتكاد كتاباته تختص بالجملة عليه ، لذلك قد تلخصت لك آراءه فيه مع آرائه الطريفة في نظم التربية الحديثة لا تشعر وأنت تقرأه الا بجزالة الاسلوب وحلاوة النكتة واما آراؤه الرهيبة فتنسب خفية الى رأسك حتى اذا ما انتهيت من قراءته أصبحت عرضة للنضال الفكري العنيف . وعبثاً تحاول اقناع نفسك بانك لم تقرأ غير قصة كتبت لاجل التسلية ، فنطقه يطلب دائماً إيمانك ، وجدله يصارع اعتقادك

(١) فصل من كتاب الثورة الفكرية : رجالها في العصور الحديثة ، تأليف عمر عنایت

أرائه في الزواج

ما هو الزواج : اذا اخرجنا الزواج عن كونه نظاما طبيعيا مثل نظام الجاذبية تعين علينا ان نسأل الذين يقولون ان للزواج معنى مفهوم بالبداهة . اهو الزواج الكنسى القابل للطلاق ام الغير قابل له ؟ ام هو الزواج المدنى ، الفرنسى او البريطانى ؟ ام هو الزواج بالاقرباء الادنين او بغيرهم ؟ ام هو الزواج المطلق ام الزواج الحرام ، الزواج المؤبد او الوقتى ام الزواج بواحدة ، او باكثر من واحدة ام . ام . ام . فكلمة زواج تحوى كل هذه المتناقضات ليس فى الامكان منع الزواج ولكن يجب ان يكون له معنى آخر غير الذى يطلقه عليه المولعون بحل ازمة المساكن ، اعنى اقامة شخصين فى غرفة واحدة . ويتساءل المترجم عن السبب الذى يحدو الناس الى شل عقولهم وتصور فكرة خاطئة مفادها استطاعة اى كان (الحيوان او الانسان) - مادام فى حالة طبيعية - ان يخصص اكثر من بضع ثوان فقط للحب الخالص ، وهل يشاهد الناس ان السبب فى نجاح المسيحية بعد خذلانها السابق هو نتيجة تخصيصها لوقت قصير من اوقات الناس كل سابع يوم فقط لاجل العبادة بعد ما كانت تسخر من قبل كل اوقاتهم لاجلها ؟

لا يخرج معنى الزواج عن تعود اثنين على سكنى منزل واحد واتفاق دخل واحد والاهتمام بنفس الاطفال . فكأنى بالناس يجهلون ان المنزل السعيد هو الذى يقيم صغاره فى المدارس وكباره فى النوادى ، فلا يتواجهون الا امدا قصيرا جداً

وهوب الفاء النظام الحالى

قانون الزواج النافذ فى الوقت الحاضر غير معقول وغير انسانى وكيف لا يكون كذلك واكثر الناس تمسك به هم اكثرهم خرقا لقدسيته بما يرتكبون وراءه من السفالات . ان السبب فى وجود هذا النظام هو العمل بنص الوصية العاشرة التى اذا وقفت على حقيقة معناها اى فتاة ، وكان لها شىء امن عزة النفس لا توافق

على الدخول بين جدران يحكم عليها فيها ان تكون مستعبدة للرجل دائماً
وكأنها إحدى مقتنياته من الحيوان والاثاث

ان مثل المدافعين عن النظام الحالى كمثل حامية القلعة وهي تسارع
الى الدفاع عن الجزء غير المعرض لهجوم الاعداء . فكل شيء يحتاج على نظام
الزواج وحتى المسيحية انشأت الرهينة لتكون احتجاجاً حياً عليه الى الابد
اضرار الزواج . قد ثبت ان الزواج فعال في تقايل النسل وهذا هو الذى
حدا بالاساسة والا كايروس الى التفاضى عن خرق الناس لحرمة و ذلك عندما
رأوا ان حالتنا مشابهة لحالة سكان منزل اندلعت فيه السنة الزيران . وقد
هرعوا الى الشارع وهم انصاف عرايا . فكما ان هذه الحالة لا تسمح بالقاء المواعظ
والارشادات الخاصة على وجوب تغطية الجسد وكذلك انحطاط النسل في النوع
والكمية لا يدع مجالاً للتشدد بالاخلاق والآداب . قالوا يجب اذن ان لا يستسلم
الاساسة الى تهوئش الساعين وراء البنية الشرعية مهما تتج عنها . فنحن في حاجة
قصوى الى الطفل السليم ولو كان ابناً غير شرعى لان فائدته تزيد عن فائدة
عشرين طفلاً سقداً ولو كانوا شرعيين

واننا نرى لسوء الحظ ان عدد الشبان الاقوياء الذين لا يمتلكون ثروة
تمكنهم من شراء زوجة ثم الاحتفاظ بها ، في تزايد مستمر ، وهذه معضلة اجتماعية
يجب حلها قبل ما يتفاقم شرها فان الشخص منا لا يكتسب دخلاً كافياً الا بعد
ان يقطع نصف مرحلة الحياة او يكاد ينهيها اى في الوقت الذى تقل فيه او
تتضع صلاحيته للتناسل الممكن للشبان القيام به . ويحدث هذا تحت سمع
الحكومة وبصرها دون ان تجرأ على الوقوف ضد هذا التيار المهلك خوفاً
من شبح الانتخابات . وليس من الديموقراطية في شيء ان يتواضع السياسى الى
درجة يفهم معها الشعب انه معهم على قدم المساواة بل من واجبه فهم الناس
انه متفوق عليهم وانه اعلم بصالحهم منهم . والسياسى وحده المسئول عن رسم
الخطط ثم تنفيذها وسواء أكان فوائده مضمياً او مخططاً في قوله « جميع الناس
اعتقل من اى الناس » فلا خلاف من وجوب اطاعة الحكومة لارادة الامة .
ولكن يجب ان لا نخلط الارادة بالتنفيذ . فمثل اعطاء حق التنفيذ للامة كمثل

اعطاء القاطرة للمسافرين لتسييرها بدلا من حصر حقوقهم في اختيار المحطة المطلوب الوصول اليها. وانا لا نصل الى الاصلاح عن طريق اعطاء حق التشريع الى العامة فحقهم يقف عند انتخاب الرئيس ووزرائه ثم تسليمهم زمام الامور ليديروها حسبما يرتؤون وللشعب بعد ذلك ابداء موافقته او معارضته لسياساتهم ابان التصويت

وهناك داع آخر خلاف التصويت لاجتماع الوزراء عن التقدم لاجل اصلاح الزواج . ذلك هو خوفهم من تلقيب المعارضة اياهم بناسفي العائلة واعداء الاخلاق الفاضلة ، وما أشبه ذلك من النعموت التي يخشونها جداً . لذلك نراهم ينزفون بدلا من أن يظهروا كما هو الواجب لافهام الناس ما هم أعرف به منهم مفسد الزواج : إن أكبر مفسدة للزواج هو اضطرار الامهات والآباء الى العمل بجود على اضطياد الزوج للابنة وكذلك اضطرار الأب ان يعلن بعد ذلك نجاحهما في اقتناص رجل إلى الملاء بواسطة بطاقات توزع على هذا وعلى ذاك .

الم يلجأ بعض الآباء رغبة في الحصول على رجل لابنتهم الى يد أحد الشبان البسطاء بمقاضاته على زعم اخلافه بوعده زواجه من ابنته ؟ وكثيراً ما يقع الولد المسكين في الفخ ويصبح زوجا بالاكراه . وهل هناك من يجهل عذاب الشاب عند ما يصبح ويمسى بين أسئلة تنهال عليه من كل صوب عن « آماله في الزواج » في حين أن السائلين يعلمون تماماً أن فكرة الزواج لم ولن تخطر ببال الشهيد المسكين ؟ وكم من اكاذيب يقترفها آل الابنة عند الافاضة في ذكر فضائلها امام الرجل او اهله . فيتكلمون مثلاً عن رشاقتها في العزف في حين انها حاولت عبثاً احسان ضرب بعض أدوار . فهل هناك فرق بين هذه الوسائل وتلك التي تتبعها البغى ؟ الا لن يزول هذا العار الا اذا استقلت المرأة اقتصاديا عن الرجل . فتعلقها به من أجل أن تأكل يضعها في مصاف الكلاب التي لا بد لها من صاحب يطعمها . ولتصبح المسألة مسألة اصلاح قانون بقدر ما هي مسألة وجوب ايقاف الاتجار بالرقيق في ظل القانون ، وما دام الزواج قد عجز عن الاتيان بنير هذه المخازي ، وجبت ازالته لانه لا فائدة من

التشدد بكلمات الفضيلة والنقاوة عند ما تكون اسما على غير مسمى وفي وقت يستهدف فيه المجموع للخطر

لم يدافعون عن الزواج : ولا يسلم الكاثوليكي بصحة الزواج المدني فهو في عتقادة زنا . وكذلك يعتبر الارثوذكس زواج المطلق زنا أيضا ، وبالرغم من ذلك نجد أبواب الطرفين ترحب بهؤلاء الزائنين في حين أنها تغلق الباب امام اللذين اختارامعاشرة بعضهما دون اجراء مراسيم من أى نوع كان مع انهم لا يفترقون عن بعضهم والكل زناة ولكن ينحصر السبب في رغبة الناس في الدفاع عن الملك الا وكم حقر الرجال شيلى واساء النساء اليه وقتما حمل حملته المشهورة على الزواج في حين انهم لم يحقروا نلسن ولم يسئ اليه عند ما كون لنفسه تحت انوفهم علاقة مثله مع السير واللادى هاملتون ؟ اليس ذلك لان الاول حمل على فكرة التملك فنظر اليه الرجل كما ينظر الى سارق الجياد ورأت المرأة فيه المعول الذى يحاول ازالة سقف زوجها لتظهر للناس وهى تقترف ما تقترف من الجرائم ؟ إلا ان التظاهر ولوك الاصطلاحات في هذا العالم بمسحان الملحد مطرانا ويشبتان القوضوى قاضيا والمستبد حا كما ديمقراطيا

تعدد الزوجات : التعدد منتشر في الغرب كما هو في الشرق والفرق ينحصر في أنه محدود هناك نطاق هنا فاذا عاداته اوروبا فانما هى تعادى فكرة التجديد ليس الا . ومن الخطأ القول أن للاخلاق دخل في قصة التعدد لانها مسألة حسابية تحمل على أساس نسبة الجنسين لبعضهما فلو اودت الحرب مثلا بارواح ثلاثة ارباع الرجال وابقت على الربع لتحتم على العقلاء ترديد دعوة محمد . ولو كذا النساء ضعف الرجال لوزعن بنسبة زوجتين للرجل الواحد ولكن عددهن لسوء الحظ يزيد واحدة في كل احد عشر رجلا وامرأة . فكيف يمكن تقسيم هذه المرأة على أحد عشر زوجا ؟ ليس لدينا حل لذلك الا الاعتراف بالبنوة غير الشرعية

ليس السبب في وجود نساء بلا زواج منحصر في عدم التصريح بالتزوج من اكثر من واحدة فقط فهناك سبب آخر يتعلق بنفسية بعض النساء اللاتى لا يرغبن في معاشرة الرجل ، إما هربا من نير الزوجية او زهدا في اخلاقه . فبأى حق يمنح هؤلاء من التمتع بحقوقهن الطبيعية من حمل وولادة

مثلاً يفعل غيرهن ؟ او من العدل ان نجبرهن الاختيار بين حريتهن وبين حرمانهن من حقهن ؟

يشفق الناس على العامل بلا عمل وقلما يشفقون على المرأة التي لم تتزوج ؟
ليس الزواج عملها الذي نطالبها بعدم التحول عنه ؟ ولماذا لا ندفع لها أجراً
على قيامها بواجب الامومة كما ندفع لكل عامل ؟ تقاس ثروة المتوحشين
بعدد ما يقتني من النساء لأنهن اللاتي يأتين له بالقوت . وأما نحن فنساؤنا
يقاسمنا اجورنا . ذلك لان الهيئة الاجتماعية تحم عليهن العمل مسخرات
وما دمننا تقتل افراد جنس دون افراد الجنس الآخر فالزيادة تكون
دائماً في جانب ذلك الآخر . ولا يظن انسان اننا نمنع النساء من حومة
القتال شفقة وشهامة كما ندعى ، فاننا تفعل ذلك فقط خوفاً من اتقاص عددهن
الامر الذي يسبب اتقاص النسل . ينتج عن تعدد النساء كثرة النسل . ام
تعدد الازواج فينتج امتناع الحمل . فما دام يوجد أربعة رجال في كل خمسة
عاجزين عن القيام بالاتفاق على زوجتين اللهم الا اذا ضوعف دخلهم على
الاقل ، فلم لانسح للخامس باتخاذ زوجات بنسبة ثروته لنجرب هذه
الطريقة أيضاً

المقاومون للتعدد : ليس النساء هن اللاتي يقاومن فكرة التعدد كما يتبادر
للذهن فان الرجال هم الذين ينوءون تحت حمل الاتفاق على المرأة ويخافون
استئثار الغنى بالنساء ولذلك يقاومون الفكرة . واما المرأة فتفضل الحصول
على جزء من مائة من ثروة احد اصحاب الملايين عن امتلاك كل ثروة رجل
واحد ، فقير . فالمرأة لا تعارض الا (تعدد الازواج) لانه ياتي غير الجميلات
على قارعة الطريق .

الطلاق : يحرم الارثوذكس الطلاق . فلنفرض انه حكم على احد
الزوجين بالسجن المؤبد فهل يقبل أن ينتظر الآخر بقية عمره ؟ هذا
هو ما حدا بالكثلكة الى اعطاء البابا سلطة كبيرة لحل امثال هذه الاشكالات .
قدتفاوت اسباب الطلاق تفاوتاً بيناً فهناك اسباب كالتى أبداها هنري الثامن
وقتماطاب طلاقه من كاترين . وهناك اسباب كالتى تبديها بعض الاميركيات مثل
عدم تقليد الرجل لظافر قدميه سهواً وان من الخطأ الظن بان الطلاق يضر
الزواج فالامر بالعكس لان الفزواج بدون طلاق معنادانف زواج لا أكثر

واما الف طلاق فمعناه الف زواج والف زواج . اننا اذا اوجدنا شخصا في غرفة مفتحة الابواب لا يجدم ما يدعوه إلى الخروج دون سبب لأن هذا من الميسور كل وقت وهكذا بالضبط الحال مع من يقدر على الطلاق والمشاهد هو أن البلدان التي تساهلت في الطلاق قلت حوادثه فيها عن غيرها . ففي ولاية ووشنجتون التي شرعت أحد عشر سببا للطلاق بلغت حوادثه ١٨٤ في كل مائة ألف نفس واما في اليابان فقد بلغت ٢١٥ في كل مائة ألف

يجب ان لا نسأل الطالب عن السبب الذي يدعوه لطلب الطلاق حتى لا نكون كالقاضي الذي اذا استجار به شخص ممن يريد قتله يسأله ولماذا تريد أن تحيا؟ فالحرية ليست وحدها حقا طبيعيا للانسان فالسعادة ايضا حق طبيعي له ولا يجبر الناس امرأة على الزواج من رجل تدله في حبها ولا تريده حتى لو هدد بالانتحار وظهر أنه عازم عليه . فلم يجبرونها على أن تكون زوجة رجل لا تطيق مشاهدته . ذلك لأنها اخطأت في قبوله زوجا ؟ ومن هو الذي يجروء على الادعاء بأنه لا يخطيء ؟ اننا باجبارنا اياها على تحمل نير الزوجية نقترف جريمة استعبادها .

ولو صح ما يدعونه من أن الزواج بركة لو جب حله متى اصبحت مجلبة للشقاء . واذا كان المقصود منه الطفل لزم قطعة اذا تعذر الحمل واذا كان حق الطلاق منحه للرجل وحده لانه الذي ينفق على المرأة والاولاد فلم لا نعطيها حق طلاقه اذا اخل بهذا الشرط واتفق ماله في مكان آخر . أما اذا حكمنا بالاشغال الشاقة المؤبدة على الزوجين الذين اخطاء في اختيار بعضهما وطلبا الاتصال ، فنكون اكثر عدلا مما تفعل عندما نجبرهما على متابعة الحياة الزوجية البغيضة التبعة

آراؤه في التربية

معايير الزينة المنزلية : الطفل فرصة يجب انتهازها لتكوين الرجل الكامل ولكننا نعمل لسوء الحظ على إضاعة هذه الفرصة بمحاولتنا تكوينه على صورة خيالية بارهاقه املا في أن يكون نيوتن زمانه او لينتز عصره او ليكون مجموعة القطار الذين تحفظ ذاكرتنا اسماءهم وهو أمر من الاستحالة بمكان . الطفل حيوان مزعج كثير الحركة فضولي . فلو كانت هذه

الصفات تظهره لنا وحشاً يجب ترويضه فنهده بالعقاب، نكون كأننا نفهمه باننا اكثر منه قدرة على الشر واذا وضعناه تحت مراقبة شخص وقور يكره الضجيج ويسأم كثرة الاسئلة نظلمه ونقسو عليه بمعاملتنا اياه معاملة غير طبيعية لأنه كلما زاد وقار المربي اكثر من التضيق على حرية الطفل. فاعطوا للطفل حرية واركوا الشيخ في دثاره

لم لا نترك الطفل ينمو نموه الطبيعي (أو كما تقولون ينمو حسب مشيئة الله) دون أن نسعى في تحويل اتجاه نموه الى ما نتصوره له من مستقبل دون التفات الى ما اذا كان استعداداً أكثر الى الموسيقى أو الى الاجرام . وكثير من الاباء ينجحون في تشويش حياة الطفل اعتقاداً منهم بأنهم واقفون على حقيقة ميوله ولهذا نجد أن عدد الذين تغلبت طفولتهم على غباوة آبائهم ككتابليون مثلاً قليل جداً ورجال التربية مشغولون بمحل معضله « هل يصح ترك الطفل يفعل ما يشاء » ولكنهم يضعون السؤال على غير ما يجب أن يكون فالواجب أن يبحثوا « هل يصح ترك الاباء يفعلون بابناءهم ما يشاؤون » لان هناك فرقاً بين ترك الطفل ليكون شريفاً وبين ترك الشرير يفعل بالطفل ما يشاء من الشر

نقول إن فلانا وافر العقل لانه لا يضرب طفله الا اذا خالف أمره مخالفة صريحة . وهذا لاننا نجهل أن معنى هذا الضرب ليس أكثر من رغبته في افهام طفله أن والده نادرة المخلوقات ويخيره بين أن يقلده وبين سلخ جلده . واذا قلنا للطفل لا تصرخ وفرض أنه سألنا عن السبب وكان لنا حلم فاجبتنا بان السبب هو لان صراخه يهيج الاعصاب . فهل يفقه الصغير معنى لا حاجة الاعصاب ؟ وحتى اذا فرض انه فهم فهذا لا يكون ذلك سبباً لازادة صراخه ليزداد سروره . وهناك من يرى في الطفل عزيزاً محبوباً مسلماً ويعتقد أن الطفولة مجلبة للخطايا ولذلك يضيق على الطفل الخناق بمعاملته له كالعصفور المحبوب فيحيطه بسياج مبرقش خوف افلاته ناسياً ان الاسر لم يكن يوماً الاسباب في الخطا والجسد والفكر . يجب أن نعطي الطفل حرية كي يفعل ما يشاء بكسر ما يريد ويصيح قدر ما يود ويلعب وقتاً شاء ويجب فقط ايقافه عند حده اذا شرع في تقييد حرية الغير

سئلت ذات مرة كى اهب جائزة لاحدى المدارس فرغبت في اعطائها

لاكثر التلاميذ شقاوة مشترطا أن تحفظ المدرسة لديها بيانا عن نسبة نجاح الاشقياء وغير الاشقياء عندما ينزلون ميدان الحياة فرفضوا قبولها . الرجل العظيم لا يخرج الا من البيت الكثير الاطفال لان الاهتمام الفردي يزول في مثل هذا الوسط وهكذا يفلت الطفل من مخالب حنو والديه بخسارة تقل عن خسارة الولد المدلل الوحيد . واذا كان الطفل أبو الرجل كما يقولون فلم تربيته على أساس أن الرجل أبوه بدلا من أن تضعه في مصاف الآلهة ؟ اليس الله أبانا الذي في السموات ؟ اذن فلنرب الطفل على مثال ذلك الاب

معائب التربية المدرسية : انك اذا زرت مدرسة من المدارس ترى الخرائط والصور معلقة على الحوائط بنظام بشع . وكذلك تجدد بضع اوان زجاجية محفوظة في دولاب مغلق بدلا من تركها للأطفال كي تتكون لديهم فكرة عن ثقل الرطل وطول الذراع . وقد ترى آتار اغارة رجل قليل العقل على أعشاش العصافير لاجل أن يقتلها فهذا العش في زجاجة تتوسطه مومياء الطير المسكين . وهكذا يحرصون الاطفال على ارتكاب جرائم مشابهة لهذه كلما سنحت لهم الفرص . فهل يعتقد هؤلاء البلهاء أن في امكانهم حصر الطبيعة بجمالها في تلك البؤر المسماة خطأ مدارس ؟

كان يطلب منا وقت ان كنت في المدرسة حفظ قطع لاتينية عن ظهر قلب فكنت استظهرها ولكن لم يحاول المعلم سؤالى ولو مرة واحدة لاعتقاده اننى حفظتها بل يسأل الذين يعتقد أنهم لم يحفظوها وكنت أنسى ما حفظته بمرور الزمن دون أن يثبت منه شيء في رأسى وهكذا نحن نجبر الطفل على حفظ الصلوات والادعية دون أن يفقهها معنى . مثله في ذلك مثل اكثر الراشدين وفي هذا ضياع وقت واجهاد كان يصح أن يستعمل في ملء رأس الطفل بأفكار قيمته وكما أن البائس الحزين يميل الى قراءة « نشيد الانشاد » بدلا من « سفرأيوب » هكذا اليفع يميلون الى مطالعة « دون جوان » وليس « حياة المسيح » فمن الغباوة اذن أن نجبر الطفل على مطالعة « كيف تتشبه بالخصاص » في حين يوجد لدينا « جزيرة الكنز » إن قراءة « حياة القديس انطونيوس » تلذ ابن الخمسين واما ابن الخامسة عشر فلايلذه غير قراءة « ايفان هو » قديسا كان أو شيطانا

التربية الاستقلالية : اذ كر ان احدي قريباتي وكانت تجبن عن ركوب الخيل

اركتني ذات مرة مهرا صغيرا بعد ما وضعت المهراز في رجلى ولما ظهرت على امارات الهلع اغربت في الضحك ولم تفكر ابدا في العاقبة التي كنت القاهما لو همزت الفرس عفوا . فهذه السيدة نفسها رأيتني اقرأ في كتاب الف ليلة فهلعت ثم خطفت مني الكتاب واخفته حتى لا تتدنس نفسي فهي تود تخليصها ، اما دق عنقي فليس في نظرها بالشئ المهم . وهكذا نشأت الامة الانجليزية خشنة الجسد جبانة النفس . وكما ان الرجل الذي ليس له الحق في استهداف رقبته للكسر اذا رغب في الطيران يكون غير مالك لحيته ، هكذا الرجل الذي ليس له حق في استهداف نفسه للخطيئة اذا رام أن يكون ملجدا . وللانسان الحق في ان يكون حرا وليس عندما يبلغ الحادية والعشرين من عمره ، بل متى عمر واحدة وعشرين ثمانية فقط .

ويظهر ان الحكومات رغبة منها في اقلال مشغوليتها تميل الى هدم الحرية والى اكبار السلطة وخصوصا سلطتها فما دام الناس ينشئون عبيدا فان من الخطر ان تقول لهم اذا ما بلغوا الحادية والعشرين من سنهم « انتم احرار » لانه لا يمكن للعبد ذى النفس الكسيرة والروح الضعيفة ان يعرف معنى للحرية

الحرية صناعة صعبة يجب ان يشب عليها الشخص اذ لا يمكن لامة نشأ اشخاصها في نظام استبدادي ان تحكم على الاصول الديموقراطية الصرفة حتى ولو كان قانونها قانون امريكا ولو هدم بستيها وظاحت رؤوس دعاة الاستبداد فيها ولو سلمت مقاليد أمورها بيدها

ان انظمتنا الراقية تخفى تحتها كل انواع الضغط والارهاق والظلم والعدوان لالشيء الا لان اطفالنا يشبون في الاستعباد . السن تشاهدون حرية الطفل مفقودة في المدرسة حتى وقت اللعب اذ لا يتركونه يلعب حين يشاء وقدر ما يشاء بل يعينون له الوقت ثم يلعبونه حتى الملل

المدرسة ليست الا « اسطبل » لحفظ الاولاد كي لا يزعجوا والديهم . فقد اصبحت مودة العصر ان لا يرى الطفل والديه الا وقت تغيير فصول السنة

الخط من قيمة العمل: ان دأب المدارس يدور حول تشويه العمل وتحقيره
 الا تراهم كلما اذنب الطفل طالبوه بالقيام بعمل ويزداد العمل بازدياد الذنب ؟
 مسكين انت ايها العمل فكل شيء مضاد لك حتى الاديان فانها تصور الجنة
 كأنها مكان لا جازة ابدية ونحن المساكين لا نقدر ان نفهم ان الجنة كما يصورونها
 ليست الا مكانا كثيبا لا لذة فيه اذ كيف يمكن لاي كان ان يقضى فيها يوما
 كاملا في هناء ؟ السنا نرى الذين يتسابقون لجمع المال كي يوجدوا الجنة على
 وجه الأرض يشقون طول يومهم في ابدية الالعاب الرياضية ليتمكنوا من
 هضم طعامهم كي تعود اليهم لذة الاكل ؟ الا تراهم يعملون مسخرين ما يعمله
 غيرهم مثل سوق السيارات والعربات والتراحم تحت اقدام الكبراء والملوك
 للخدمة والسير في الطرقات بشباب جميلة يعلنون بها عن الصانع والتاجر الى
 غير ذلك من الاعمال التي يمتنها غيرهم باجر ؟ لقد صدق المثل القائل « ان
 الجنة مكان قداسه ، واما النار فكان اجتماع »

ان فكرة دخول الجنة التي لا عمل فيها تستهوي العامل المسكين الذي يأكل
 قليلا ويعمل كثيرا . واما ذاك الذي لا يعمل شيئا وياكل كثيرا فشوقه
 يكون الى سماء اكائها قليل وعملها كثير .

كيف يجب ان تفعل : يكفي الانسان ان يعرف اصول السير في الطرق
 وقراءة الاعلانات وكيفية ملء تذاكر الانتخاب وشراء الحاجات وبالاختصار
 يعرف « كم فوله تكون خمس فولات » هذا اولا ثم يتعلم بعد ذلك مبادئ الاقتصاد
 والقانون والزراعة والصحة اى كل ما يفيد في حياته اما تعليم الجامعات
 فيعتاض عنه بما تقوم به انظمة الخدمة العامة في الوقت الحاضر من القاء
 المحاضرات المتنقلة والتعليم بالمراسلة والتدريس بواسطة الفونوغراف
 والسينما لان الجامعات لا تعلم الناس عن افلاطون الا ما كان يعرفه افلاطون
 فهي أمكنة تحوى مخاليق تشجع الثقافة وتبحث الثقافة وتنتقد الثقافة
 ولكن الى أية غاية ؟ فان الذي يخرج من الجامعة لا يزيد معلوماته عن تاجر
 القاش الملازم لكانه عندما يخرج معا من أوساطهما الى معمة الحياة

واذا كان لا بد من وجود جامعات ، فليطلب منها أن تحتكم على من
 يدخلها أن يكتسب رزقه ولو لبضع سنين

وما دام المنزل لا يصاح إن يكون مكانا للاطفال وكذلك المدرسة فقد يسأل سائل « هل تريدنا ان نلقيهم على قارعة الطريق » وهذا بلا شك احسن بكثير من وجودهم في تلك المعاهد . ولكن هناك رأيا احسن وهو توجيه وجودهم الى العمل المستمر الذي فيه فائدة لهم . وهلا ترون الاطفال يهربون من المنازل والمدارس إلى الحقول والمصانع ؟ اعطوا للطفل عملا تقل ضوضاؤه ، ووجهوا ميله الى الحركة . للفائدة العامة لان الشيطان يجتهد دائما في خلق شرور للعاطلين

وهنا يجب أن انبه إلى أنه يوجد فرق بين توجيه نشاط الطفل من صغره إلى العمل المنتج وبين استثمار عضلاته الضعيفة باجباره على العمل الشاق عشر ساعات متوالية كل يوم
يجب أن لا يجبر الطفل على اتمام تربيته في عدد محدود من السنين ، لانه يتربى طول حياته وحتى عند موته يكون ناقص التربية .
لهذا ارى أن نظام تربيتنا الحديثة من اسخف مميزات المدنية الحاضرة

في الأدب

سننشر تحت هذا العنوان بين وقت وآخر مقالات قيمة يدبجها يراع العالم العلامة والبحر الفهامة سماحة الاستاذ الكبير الشيخ حسين محمود الشهير بالحجة التي لا ترد

دخل اعرابي حقير على معن بن زائدة يختبر حلمه الذي طالما سمع عنه فابتدره جلالة (١) منشدا اتذكر اذ لحافك جلد شاة واذ نملاك من جلد البعير فقال الملك اذكر ذلك ولا انساه الى ماشاء الله فالأعرابي يذكرني شعره هذا جلد شاة وهذه استعارة فصيحة تبرهن على المام العرب الاماجد بالتاريخ حديثه وقديمه . فقد كان لحضرة صاحب الجلالة معن لحافا من دمقس موشى باللؤلؤ والاماس مخاطا بالحرير الليوني نمرة واحد ولشدة قرص الزمهرير في جزيرة (٢) العرب السعيدة ابان فصل الصيف يتدثر العرب بدلا من الثياب القطنية الحقيقية اخرى محاكاة من الصوف والشاة التي يشير اليها هي السكبش الذي ضحاه خليل الله ابراهيم بدلا من ولده وفلذة كبده اسماعيل (٣) الذبيح فان هذا الصوف الفريد في بابه هو الذي حشى به لحاف جلالة ابن زائدة وكان مكتوبا على كل خصلة منه لفظه شفيت التي حرفها الانكليز الى شفويات واما البعير الذي صنعت النعلان من جلده فهو ناقة صالح التي عقرها عندما شقت به جوف الجبل وانثلمت الثغرة على اثر دخولها وبالطبع لا يحتاج الامر الى شرح الفلسفة الظاهرة في هذا البيت الشهير قال الاعرابي

فسبحان الذي اعطاك ملكا وعلمك الجلوس على السرير

فاجاب ابن زائدة على ذلك قائلا سبحانه يعز من يشاء ويذل من يشاء وهذا هو اكبر برهان على قدرة الباري التي لا تجاوى فآليس تسبيح الله على هيئة كهذه اثبات حي ونيته لا ترد على ان الباري اهل للتسبيح باسمه ويظهر ان معن هو اول من جلس والا فكيف يقول الاعرابي ان الله تعالى (علمه)

(١) يقال ان معن كان اميرا ولكن يظهر من قول حضرة الاعرابي انه اعطى منسكا (٣) يكذب الفرنجة في ادعائهم انها سنة جزيره وهم يتعمدون عدم ذكر بحر العرب الرملي الذي يصل سوريا بحاء النهرين (٣) ويقول الذميين كذبا انه اسحق

الجلوس على السرير فيظهر ان الناس كانوا يقفون على ارجلهم والا يستلقون
على الارض فاول من ركبت له مفاحيل من البشر هو السيد معن . اما بخصوص
ماركة العرير فبالبحث الطويل ثبت لدى انها كانت ماركة فوليبس (٤)
بلتكان (٥) والمقصود من هذا هو اظهار جلالة الملك في اعظم مظاهر الترف
كسولا لا يعمل كبقية الاشقياء التعساء

فجد لي يا بن ناقصة بشيء فاني قد عزمت على المسير
فقال اعطوه مائة الف دينار (خمسين الف جنيها)

وفي هذا البيت تتجلى للقارئ درجة التقدم الاخلاقي الذي وصل اليه
السلف الصالح . الا ترى الاعرابي شحاذا للجود في ظرف ويظهر أن ابن
زائدة كان يجيد الحساب فلم يفرق بين الزائد والناقص . قال سيبويه عن ظافر
عن شأبوب عن الاصفهاني ان البلاغة في القصة تنحصر في لئظة ناقصة ومعاد
الله أن يريد الغربي اساءة الادب بلهم ام جلالة معن بانها ناقصة
الادب كما يدعى الا فرنج، حاشا وكلا . بل هنا كناية عن وفاة السيدة المصونة
والدته . ألا تراه يتبعها له قائلا بانه ابن التي تخلص عدد العالم بوفاتها قال
عبد الرحمن عن سعد بن أبي وقاص عن عمير ابن أبي جابر ويظهر أن معن لم يفهم
مرمى الاعرابي فاعطاه شيئا يسيرا لا يذكر وعلى ذلك لم يكن العطاء أكثر
من حمل بعير من الذهب الخالص وعلى كل ففيها قولان والله أعلم
قليل ما اتيت به واني لا طمع منك بالمال الكثير
فلا عشت اذ ملكك الملك رزقا بلا عقل ولا فكر منير

فكان الجواب لا أكثر من أعطوه مائتي الف أخرى
هكذا خرج الاعرابي ببذرة من المال اشترى بها حفنة من التمر وصاها
من شعير (٦) فلو كان جلالة الملك معن أمر له بهذه الملييات لما اساء
المدعون العلم من الفرنجة فهم القصة

(٤) فوليبس بن نفثزين هو اشهر اصحاب المصانع للمواليا في ذلك العصر وكانت قوته
الان تزيد عن مائة الف الف جبل تشير كلها باسمه الراديو الامر الذي لم نتوصل اليه حرفها
الافرنجي فوليبس

(٥) بلتكان مجموعة أحرف رمزية عددها خمسة كانت ماركة المجلد المسجلة

(٦) يقال ان الشعير كان مخلوطا بالتبن ويقال بل كان شعيرا صرفا والشعير نوع من

الغالوج اللذيذ الطعم

وكلنا يعلم أن أساتذة الأديب في العالم الغربي يحفظون تلامذتهم هذه القصة ليكونوا كذلك العربي حين يكلمون أصحاب الحل والعقد منهم سمعت سلام ابن جنبیط يقول سمعت من بدر بن كامل عن حمويه أن هناك فئة تقول إن هذه القصة موضوعة خصيصاً لمواساة الذين يسقطون في السنة الأولى الأولى إذ في القصة اظهر معن جاهلاً بمبادئ الجمع والطرح وحاول الاعرابي المغالطة فنجح ولكن هذا السند ضعيف

كتبه الفقير اليه تعالى

الاستاذ الكبير حجة الاسلام

حسين محمود

مذكرات (أنا)

بقلم (ي)

- ٩ -

أيها الشاب هل بدأت تفهم للحياة معنى؟ أنى أريد اليوم أن ألقى عليك بموجز مما خبرته مدة حياتي القصيرة الحاملة بالاختبارات . فقد حاولت كيفية الشبان أن أشق انفسى طريقاً الى المجد بقوة الذراع المفتول والشباب الغض متسلحاً بقشور من العلوم كانت الى عهد قريب يدعو الى الدهشة وتستدعى انتباهها زائداً . وهل كان في امكان أحد اقناعى بأننى لا أفهم من « فلسفة الاجتماع » الا القليل ومن « الاقتصاد الاجتماعى » الا قشوره وكنت قد أجريت بعض محاولات لدرس كل العلوم التى مر اسمها على ولكنى رجعت مراراً خاسئاً . ولكن بالرغم من ذلك فكثيراً ما موهت على نفسى بأننى صرت عالماً بكل ما مرت بنظرى عليه من العلوم . وأما الخبرة فلم تخطر لى ببال أبداً ولم أفكر حتى في وجود شيء قيم اسمه الاختبار . بهذه العقلية وبهذه المعلومات شمرت عن ساعدى محاولاً شق طريق لى الى الامام فكنت اذا ما قرأت رأياً لرجل في جريدة أو مجلة سودت بضع صفحات مملوءة بالتهكم والتشهير أرسلها الى الجريدة طالباً نشرها رداً على صاحب الرأى فتلقى طبعاً في سلة المهملات وعند ما كنت أياس من نشرها كنت أهزكتنى استخفافاً وأقول اننى مخطئ . بالثناء أفكاري الطريقة الى هؤلاء الجهلة وأصم على وجوب الترفع عن إبداء أفكارى على صفحات يشرف على تنظيمها مدعون ولكنى لا ألث حتى يستنفرنى رجل آخر فأقوم أكتب مرة أخرى ولكن بدون نتيجة . وظلمت مثابراً على خطاى هذه خمس سنين كاملة إلى أن أتاح الحظ لى أحد رؤساء التحرير الذى رأى فيما أكتبه شيئاً يستحق النشر فعكف على تنقية الشمين منه من الفث وجعل يربطه ببعضه بجمل من عنده . هكذا ولجت عالم الصحافة بفضل فراسة ذلك الرجل الذى افتخر بأننى

تتلذذت على يديه دون أن تكون بيني وبينه معرفة . والآن أسألك أرباب الصحف والمجلات لم لا يهتمون كما اهتم ذلك الشخص بتهديب اندفاعات الشبيبة ليشجعوهم على الدخول في حومة تبادل الافكار . فان الشاب بالرغم من الحدة التي تتجلى في أراءه فهو سفير العالم الجديد للعالم القديم وهو المجدد لشباب الصحافة ومخلصها من جمود عقليات المحررين المتدربين الذين احترقوا الكتابة فانحصر همهم في الجري وراء المرتب وقل اهتمامهم بالموضوع .

وهل هناك ألد من قراءة تصورات الشباب ومحاولاتهم ملء عدة صفحات بأراء مقتبسة من هنا وهناك استنفقت أنظارهم لغرابتها وتنافرهما ؟ أليس من المملد والمضحك قراءة ما يحاوله الشباب من إثارة ثورة اجتماعية مثلاً في وسط من الأوساط بجرة قلم بضع مرات على صفحات جريدة أو مجلة ؟ ولكن يجب أن لا ننسى بأن لهذه الكتابات تأثير لا شك فيه في الوسط وتحويل لاتجاه جهود الصحافيين مع تغذية أقلامهم بمواضيع جديدة لا بد لأغلبهم من الاطلاع عليها قبل الخوض فيها وهكذا يعود الفضل في تحول جرائد اليوم عن مواضيعها القديمة البالية الى تخطيطان الشبان وآرائهم الغير ناضجة .

وكانت فكرة العمل الحر قد ملكت لبي فجاهدت أمداً غير قصير باحثاً عن عمل حر ولكنني أخفقت فقد قدمت مشروعاً لاصلاح مستوى الحياة الربني لأحد الامراء ولكنني لم يعر مشروعى أى اهتمام وبالرغم من أننى أشعر الآن بعظم المسؤولية التي كنت عازماً على تحملها . وبالرغم من أننى بدأت أفهم عظم الاخطاء التي كنت سأعرض لارتكابها لازلت مصراً على أننى كنت سأفيد بعض الفائدة التي كانت تزداد بالطبع بمرور الزمن وزيادة الاختبار ولولا الاخطاء لما وصل الناس الى النجاح وما تمرن الشبان على القيام بالاعمال العظيمة . واذا كان هناك سبب لتقدم الامم الغربية فانه ينحصر في ايكال الاعمال ذات المسؤولية للشبان مع التغاضي عن أغلاطهم الغير قائمة على الاهمال . وارشادهم الى نقط الضعف ولم يثنى اخفائي في محاولتي الاولى عن عزى فأقدمت على امر آخر اذ التجأت الى رجل من كبار رجال الاعمال طالباً منه تدريبي على العمل

معه . ولو كان قبل ذلك لكنت تعلمت له بلا مقابل . ولكن كثرة أعماله أجبرته على التسوية وأخيراً حدث لسوء حظي انه فقد زوجته فلما قصده له لكي أحصل على كلمة الفصل حسب اتفاق سابق أفضى الى بمصابه الاليم . ولكن انى الى أن أفهم ما كان ينتظر سماعه منى من كلمات العطف والمواساة وكان جهودى هذا خاتمة الصلة بين مستقبلى وبين مساعدة رجل أكن له أقصى ما خطر ببالى من الاحترام الى اليوم

والآن أتساءل لم ينتظر رجل عظيم مثل هذا منى الادلاء ببضع الفاظ جوفاء يستعملها كل فرد دون أن يعنى ما تحويه . وهل هي الانانية التى جعلته يشيح بوجهه عنى بعد اقباله أم هو شىء آخر يخرج عن كونى غير جدير بثقته لأن اعتقادى لا يتزعزع فى كونه كان يجد فى شخصاً يصلح لعمل سىء وفيه رجاء .

لازلت معتقداً اننى غير مقصر نحوه بعدم تظاهرى بالألم الذى لم أشعر به واكن مالى يمكن عمله والبشر بطبيعتهم ميالون الى سماع الكلمات الجوفاء فى حين أنهم واقعون تماماً من أنها لا تفيد شيئاً فمن ذا الذى قال له اننى أتألم لوفاة من لم أرها ؟ هذان مثالان من الامثلة العديدة التى حاولت بها الدخول فى معمعة العمل الحر ولا أذكر الطلبات العديدة التى قدمتها للشركات الافرنكية وكانت تقابل بالاسف فلم يعد أمامى الا اختيار بين أشياء ثلاث . إما الاتجار برأس مال خاص وكنت لا أملك قرشاً واحداً أو أبقى عاطلاً وانيس لدى منبع للرزق أو أن أتجىء الى تكية مصر الكبرى وبالطبع اخترت الاخيرة فالى التكية ذهبت ولا يظن القارىء أن دخول التكية أمر سهل فانك تحتاج الى توصيات قوية وإذا كانت لديك أوراق مبرقشة كان بها وإلا فما أيسر لفظة « معلش » أما كيف دخلت التكية فمسألة تحتاج الى بسط . فقد كان أبى صاحب مركز ممتاز نوعاً وصادف أن قابل أحد كبار الموظفين الاجانب وبعد التحية ذكر أبى له عرضاً مسألتى فطلب الاجنبى أن يرانى ثانى يوم . ولما تكلم معى بضع كلمات دعى اليه أحد كبار الموظفين الوطنيين وهو الآن أحد أعظم الرجال فى مصر وطلب منه

تعييني ففعل دون أن يسألني ما اذا كنت أعرف شيئاً أم لا وهكذا احتسبت ماهيتي الصغيرة على الوفورات ومعنى هذا أنني عيذت دون حاجة الى ولم أحظى وحدي بهذه النعمة فلا يزال في دور الحكومة مثلي كثيرون . أليست الحكومة اذن تكايا بكل ما في الكلمة من معنى

وقضيت تسعة أشهر لا أعمل شيئاً الا الامضاء لقبض مرتبي . وكنت كلما هممت بفتح كتاب لقراءته نهزني رئيسي المعاشر فكنت أعتذر بعدم وجود ما يشغلني فأحالي أولاً الى « الدوسيهات » للاطلاع عليها فكنت أجهد فيها أغلاطاً كبيرة ظننت لأول وهلة أنني أحوز حظوى عظيمة لديه اذا أبرزتها ولكن الرئيس غضب من ذلك وحرمني التسلية الوحيدة التي وهبها لي فلم أعد أجسر على لمس الدوسيهات المقدسة وارتفع صوتي بالتذمر فأحالي رئيسي الى رئيس أكبر كان مغضوباً عليه من أكبر الرؤساء الوطنيين . وهذا أخذ نصصحتني قائلاً كيف أغضب من الراحة وهي نعمة لا تيسر الا للقليل ممن حباهم الله وقال لي انه قضى خمس سنوات بلا عمل لغضب الطاغية الوطني عليه . ولما أظهرت عدم الاقتناع طالب الى أن أكتب له خطاباً بالانكليزية وأملاني موضوعه فكتبت له ما أراد ولكنه ثار وصاح بي « وهل هنا محل كتابة شعر شكسبير » وبعد جدال فهمت منه أن ما كتبت له ليس انكليزي وأنه لا يعرف بأي لغة كتبت وعبتاً حاولت اقناعه بأن الخطاب مكتوب بالانكليزية فطلب مني أن أكتبه بلغة سهلة ولما كتبت كما أراد قال لي ولماذا تشتم الرجل ؟ ان خطابك لا يحوى حتى ولا I have the honor to inform you that ومسلك يديه القلم وكتب بعد محو وإضافة في ساعة من الزمن نموذج خطاباً بالانكليزية لكي أنسج مستقبلاً على منواله . فلما اطلعت عليه وجدته عربياً متكلناً ولا أجل أن يعرف القارئ النسق ما عليه الا أن يترجم « بعد السلام على حضرتكم والسؤال عن عزيز خاطركم ويسوءني وأيمن الله أن أتأخر عن تأدية واجب المكاتبة بالانكليزية ركيكه جداً فلم أتمالك من توجيه نظرة الى ضعف النسق وكان هذا آخر عهدي به اذ كلفت ثاني يوم بالنزول الى الدور الاول لمساعد في قلم الحسابات ولكن رئيس القلم ارتأى

أننى غير دقيق لاتمام العمل الذى أناطه بى فى يومين فى حين أن « العفريت
ليس فى مكانه انهائه فى أقل من نصف شهر » وهكذا كان « خلى » السبب
فى نبذى من كل قلم أهبط عليه الى أن يسر الله لى الخلاص فقف بى للعمل
من رئيس أجنبى

— ١٠ —

وكننت أعتقد كبقية الناس أن بنى التاميز على شىء كثير من العلم وأنهم
أنظف خلق الله ذمة ولكن التجارب عامتني أن أغلب الذين يأتون منهم الى مصر
بالاقل ليسوا عند ظن الناس بهم مع أنهم كانوا يوازنون أرق طبقات الموظفين
المصريين مقدرة فى ذلك الوقت

فأولا كان سكرتير الرئيس الانكليزى هو الكل فى الكل وكل كان يعفى
الرئيس أوراق بيضاء يتركها لى أملاها فكان مثلا من اختصاص رئيسى رسم
خطط للتجارب الفنية السنوية . ومع أننى كننت غريبا عن الفن كان من على
تنظيم مشروع التجارب فكنت أجا إلى صغار الموظفين الفنيين من الاجانب
للقيام بذلك ثم أقدمه كما لو كان من عنديا . وهنا لايسعنى الا أن أذكر آسفاً
بأن الفنيين المصريين كانوا أجهل منى فى قنهم اذ كان يقتصر عملهم على مراقبة
العمال فى تنفيذ الاوامر دون أن يفهموا الغاية التى يعملون لاجلها . وهؤلاء المراقبون
هم الذين يحتملون الآن الوظائف الفنية الكبرى فى دور الحكومة ومن ضمن واجبات
السكرتير أن تكون عيناه ناظرة وأذناه سامعة ليفضى لرئيسه بكل ما يسمعه ويراه
فهو جاسوس له ويترك له الرئيس مقابل هذه المهنة الشريفة اجراء كل ما يريد
ولو خالف القانون والعرف . وسعيد هو السكرتير الذى كان يفهم واجبات وظيفته
ويتقدر على تأديتها وسعيد هو الذى كان يعرف القانون المالى ويفهم كيف
يطبقه بصالحه

وكانت حركة عام ١٩١٩ فانضمت بالطبع لها وأحزبت وكننت أظنها جدية
فتنعت الشراع الى آخره أمام رئيسى وكننت أجادله فى أحقية طلباتنا وعدم
خضوعهم الى الحق فكان يستمع منى بسكون ويتظاهر بالروية ولكن لم تلبث

الحركة العنيفة حتى خبت فوجدت نفسى ملقى على قارعة الطريق وعيناً فكرت كيف بقى أمثاله فى مراكرهم واستفادوا بالعلاوات والدرجات بعكس وهم على ما قالوا لى ولغيرى بذلوا الجهد الجهميد لعرقلة أعمال الدخلاء . مسكين أنا فقد صدقت كل ذلك عندئذ ولكن أخيراً فقط عرفت بأننى كنت الوحيد الصريح وبعد أن خمدت النار المتأججة واحتل الاسى نفسى دبر البعض حركة ثانية للاضراب فانضمت اليها ليس تحمساً بل حفظاً لشخصيتى لان اعتقادى انقلب ضد أولئك النفر الذين يعكرون الماء ليضطادوا فيه ولم دهشت عند ما اطلعت عرضاً على أسباب تغيب رفقائى مدة الاضراب وكانت مقيمة بأيديهم أمام اسمائهم فى كشف . صدقنى أيها القارئ اننى كنت الوحيد الذى أكتب أمامه سبب عدم حضورى الانضمام الى حركة الاضراب وهو ما اتفقنا على كتابته وكان كل منا لا يرى من الورقة الا المكان المعد له فقط . فقد كتب البعض أن والده مريض وذكر البعض أنه كان مزكوماً وأبدى البعض أن قريباً له توفى وغيره أن الطريق كان غير آمن من الخطرات وغيره انه حضر ولم يجسد أحداً وغيره انه خاف من اضطهاد رفقائه له وأشجع الكل فرد أبى ابداء سبب فكتب الرئيس بيده فى الفراغ « أبى ابداء سبب »

وأنى الآن أتصور تلك الضحية التى خرجت من حناجر أربعة عشر مليوناً من النفوس تطالب بالاستقلال التام أو الموت الزؤام وأرى بعينى الخيال تلك الحجاقل التى كانت تموج بها الطرقات مهددة متوعدة وتلك الجثث المخرجة بالدماء الملقاة على الارض . واذكر كيف أصبحت العربية تدفع الحصان بعد ما كان الحصان يجرها بصعوبة وأخيراً رأيته قد انفكت عنه فاذا به يركض أمامها دون أن يلتفت الى الخلف وعلى حين فجأة شعر بأنه أفلت منها ولما أدار رأسه وجدها قد انقلبت رأساً على عقب تدور عجالاتها دون أن تتحرك . وتطلعت الى وجه الحصان فرأيته يتطار عرقاً من الخجل يريد أن يتقدم فلا تطاوعه رجلاه ويروم أن يتقهقر فتمنعه عزة نفسه كل ذلك رأيته وأنا أشعر كأننى فى حلم مرعب

وسمعت أجزاء العجلات تتصايح تفاخر بعضها البعض وكأنها كانت

تجهل عظم الجذية التي بدت ظاهرة للعيان وهل نظر حافظ في عالم الغيب عند
ما خطت أنامله

ليس فيها إلا الكلام وإلا حسرة بعد حسرة تنهذى
أجل هاهى العجلة لاتزال تدور بقوة الاستمرار وأخذ ضجيجها ينحفت وقد
رأيت الحصان لايجراً أن يدير رأسه ليرجع كما تقدم ولكنه أخذ يرجع بظهره قليلاً
قليلاً برأس منكسة حتى اذا ما وصل الى منتصف الطريق سقط فمات أعياء
وهذه الاصوات لاتذكر له حسنة إلا لاكتساب مركز أو أجر وهذه هي
الادران العالقة بذكراه ترفع أصواتها لأول مرة مطالبة بحقها في التصدر وبدلاً من
أن تلافى الفوضى تزيدها بجهلها وسوء قصدها

ايه أيتها الشبيبة هذا هو ثالث زعيم مصرى شاهده يندحرهما وكمداً
فوارحتهاه لثلاثهم انتهى

ملخصة بتصرف

(...)

الاقتصاد

كاتبه المصريون

أخذت الجرائد اليومية تعمل منادية بوجوب تلافي الحالة الاقتصادية المريعة التي تضيق على الفلاح الخناق وإنك لو امتزجت بمختلف سكان القطر لما سمعت حمدا ولا شكرا بل يشكوا اليك الكل من الضيق المستحكم فيخيّل اليك لأول وهلة أن الازمة متحكمة . ولكنك لا تأبث حتى يتضح لك أن هذه الصيحات تنجبت عن سوء تصرف أدى إلى ضيق مفتعل . فالفلاح يجهل كيف ينظم انتاجه ولا يحاول أن ينظم نفقاته . لنفترض أن مزارعا متوسط الحال يمتلك عشرة فدادين لا أكثر هو موضوع الدرس فأول ما يصح استنتاجه هو أن مدخول هذا الشخص الشهري يتراوح بين عشرة وخمسة عشر جنيها وهو مبلغ لا بأس به لرجل مثله يعيش عيشة بسيطة في قرية لم تدخلها دواعي الترف مطلقا . فإذا تعهد ماله بعهده بعناية لما احتاج إلى ملء الدنيا صياحا كما يفعل الآن . لأنه يسكن في منزله الخاص ولديه مطيته . ومن ماشيته ينتج حاجته من السمن والجبن واللبن وفي إمكانه انتاج ما يحتاج اليه من الخضروات من أرضه دون أن يخل بمحصوله الكبير فوالحالة هذه يكون معتمداً على إرادته في استجلاب حاجته من الكساء وما يريد من أسباب الترف وهي لديه قليلة

لنلج الآن منزله فنرى أنه يحيا في شبه مرتبط للبهائم فالأثاث وسخ مخرق والأرض والحيطان يدعوان الزائر إلى الانقباض . الأمر الذي تستدر الشفاق عليه وإذا تطلمت إلى أطفاله وجدتهم قذرين مهملين جهلاء . ذلك لأنه يضمن بدفع بضعة قروش لتعليمهم ولو تعلما أوليا . وعلى فرض أنه فعل فإن نفقات تربيتهم لا تكون جملا ينوء منه

هنا يحظر ببالك أن تتساءل فاذن أين ينفق إرادته هذا . لأنك مهما قلبت الأمور لا تجد مبررا للشكوى . فمثلا لا تكاد تجد أثرا للقمار في القرى وعلى فرض أنه يتعاطى المغيبات أو الخمر فإن ذلك لا يكلفه إلا بضعة قروش لا تتعدى العشرة

كل يوم . وكذلك وسائل الدعارة غير متيسرة . ولو وجدت فان عواطفه المتحجرة لا تدفعه للدفاع في الانفاق على هذا الباب

في اعتادي ان هناك سببان اساسيان لهذه المحنة . الاول حب الظهور والثاني الطمع فانك لو انتبهت لحاله قليلا لوجدته بلا عمل يقضى طول يومه في التحدث مع امثاله من الكسالى في امور لا فائدة فيها في حين انه يشجع النقراء على التحكك به والعيش على حسابه فيكون له بطانة يسميها « رجاله » ليستد بهم ازده على زعمه فتجد عنده خادمين أو ثلاثة ومثلهم من الخادmates في حين أن عائلته الخاصة لا تحتاج الا إلى خادم وخادمة . صحيح أنه لا يعطيهم مرتبات تذكر ولكنه يطعمهم وربما يكسبهم ايضا هم واولادهم . اضف إلى هؤلاء من له بهم صلة نسب فهو يأويهم عنده حفظاً لاسمه فيتكلمون عليه ولا يحاولون اكتساب طعامهم بالسعي . حقيقة ربما يتظاهر بعضهم بالاشتراك في ادارة المزرعة ولكن لا يفكر احدهم في العمل جديا لسد مسد عامل يكلف المالك بضع قروش كل يوم بالاقبل بل ينحصر جهدهم في الاشراف على العمال ولاجل ان لا يجيدهؤلاء عن الطريق السوى يزوجهم وهكذا يضيف إلى عائلته جماعة أخرى ويجهدهم أن يعقد لهم على من هن دون من عقد هو عليها حتى لا يكونون ارفع منه قدرا واكثر غنى فيظل وحده زعيم العائلة ورجلها الا واحد

أما هو فيعتقد من الزواج صفقات يظنها لصالحه وذلك اما طمعا في بضع قرارات تملكها المرأة - لان الريفيين يوزعون أغلب ما يملكونه على اولادهم الذكور خوفا من أن يرثهم رجال غرباء عن طريق الوارثات - أو طمعا في تعزيز مركزه الادبي بمصاهرة عائلة معلومة وفي منزله تجدد عائلته وعائلات أقاربه وأتباعه

والفلاح المصري مزواج مطلق على غير قاعدة فانك لا تجد أثرا للفرام الدافع الى الزواج الا في النادر جدا فاذن يكاد يكون الدافع له هو تكوين صلة عائلية تحاول مدعا قدر الامكان ليعيش حسب اعتقاده « عزيز الجانب » في قرينه وربما أن المرأة ليست في نظره الا ضرورة وقتية فهو ينتقل من

وأحدة لاخرى حسب لهوائه وإطماعه . وهذا ما يحدو بالمرأة الى العمل على تعجيزه بكل ما في وسعها من الحيل حتى لا ينبذها لاجل غيرها فتتعمد الاسراف أكثر مما هي مسرفة بطبيعة جبلها وعادة الوسط حتى لا تبقى له مالا للزواج

وإذا ما تزوج ينفق دون حساب حبا في الظهور . وكذلك قل إنه يفعل لمناسبات السرور كالختان أو في حوادث الموت وليس أسرع من في تزويج أبنائه قبل أن يصبح في ميسور الواحد منهم أن يربح ما يحتاج الى انفاق على نفسه خاصة

ومع اتباعه لكل ما سبق لا ينفق الفلاح دخله ولا يضطر الى رهن أو بيع ما يملكه لانه لا يبتهم الا المحاصيل الثانوية ويؤثر بعض التأثير فقط في المحاصيل الرئيسية أما سبب الخراب فهو الطمع فانه بدلا من أن يقتصر على ما لديه من الارض فيحسن استعماله يدفع بأمل الاثراء السريع وحب الفخفة الى التعاقد على صفقات كثيرأما يورطه فيها رغبته في معاندة خصم والتكايه به . فاذا كان يملك مالا زاحم غيره على شراء عدة فدادين بالتقسيط . وقد يقترض برهن ما يملكه من الارض لدفعه قسطا من ثمن الارض الجديدة والا فهو يزاحم رفقاءه في استئجار ما هو معروض ويدفع أى ثمن يعجز الخصم عن دفعه . كل هذا وهو متيقن أن رجاله من اتباع وأقارب يكفون لاستثمار أضعاف هذه المساحة وهو الامر الواقع لو كانوا فقط يعملون ولا يقتدون به مهمالين

فالفلاح لا يفكر في الغد حتى ولا ينظر تحت قدميه وهو جال يسهل اغواؤه بالفاظ منمقة ، يستدين ليس رغبة في الاستدانة بل متورطا حتى كادت الاستدانة تصبح من طبيعته وقد اختبرت بذاتى أنه يدفع لآخذ ما ليس له حاجة لا بشيء الا لانه سيدفع الثمن في المستقبل يوم يكون لديه عشرات أو مئات من الجنيهات . وليته يصفى حسابه عندئذ فهو بالعكس يؤجل

التسديد بر بنى فاحش . ويحرضه المرابي على ذلك لان المرابي لا بدله من استثمار رأس ماله ليعيش هو أيضا وهو يريد أن يمتلك كل شيء

هذا نموذج لحال الفلاح يصح تطبيقه على من يمتلك بضع قرارات وعلى من يمتلك العشرات من الافدنة او المئات أيضا

ولننتقل الآن الى الوطن المتحضر . فنجد انه اشد اندفاعا من الآخر خصوصا وان ساكن المدن لديه من الكمبيالات اكثر مما يحيط بالقروى وما عليك الا درس حالة طلبة المدارس ومقدار الاسراف الذي يتبعونه والمظهر الكاذب الذي يحاولون التأثير على غيرهم به بالرغم من فقر آبائهم

حالة الموظفين ونفقاتهم الغير معقولة في المحال العمومية وبؤس داخليةهم فالواحد منهم ينفق ابراده وما يستدينه لاجل المظهر

حالة الاعتماديين الذين ياكلون من اموال اقربائهم ويتسولون منهم لكي يظهروا على حد تعبيرهم بالمظهر الذي لا يليق بمقامهم وبمقام العائلة

واني اكتب هذا في عاصمة احدى المديريات وقد كنت جالسا في مشرب اللوكاندة التي انا نازل فيها وبقرى صديق من البندر اخذ يعرفني دخيلة كتبة ادارات الحكومة وكم ياخذ كل منهم مرتبا شهريا بالتقريب وهم يسرعون قاصدين قضاء الليلة في دار هو مقابلة للمكان الذي نحن فيه جالسان

حدث عن اصحاب هذه الاوراق ذات الخمسة جنيهات — هكذا اسميتهم لان متوسط مرتب كل منهم في الشهر لا يزيد كثيرا عن قيمة هذه الورقة — ولا خرج ولكن لا تتطلع الى وجوههم الهزيلة التي فعل الجوع وسوء الغذاء مع السهر والسم الزعاف الذي يتهافتون عليه فيها فعله المريع لئلا ينقبض قلبك

ولم اتمالك من الاقتداء بهم فدخلت نسيج العنكب اليوناني وهناك شاهدت ذوات الجنيهات الخمسة ومجاميع الاعيان والاغنياء ملتفين كالجهالة حول مسطح خشبي وامام كل منهم كلسا من المدام وهم لاهون عنه لانصرافهم بكايتهم متتبعين حركات بطيئة لهيكل حيوان ضعيف هزيل تحكم من ثيابه ان امرأة رأسها يتحرك تارة وحدها واخرى معتمدة على قطعة عظم لونها ازرق . قال لي صديقي انها يد

وتتبع تلك الحركات التي تكاد تكون زحفا زفرات اواناث قيل لى انها اناشيد
وبعد ما احتسيت قهونى طالبنى الخواجه بشمنها ثلاثة قروش وهذا لان المطربة
الرشيقة تشتغل الليلة وبالسؤال علمت ان الوسكي بالماء يكاف ستة قروش
وبالصورة تسمه

حدثك عن اختبارى من درس ذوات الخمس جنهيات واظن في ذلك
الكفاية ولا داعى الى بسط حال ذوات العشرة وذوات الخمسين. لان الصورة طبق
الاصل ولكنها مكبرة

وقبل ان اختم هذه الكلمات اريد ان الفت انظارك يا قارئى عساك تبحث
لذاتك عن مقدار الدين المستحق للخياط ولكوستا ولصانع الاحذية وتساؤل بعد
ذلك الى حيث يلقى هذا المخلوق بجسده كي ينال حقه الطبيعى من الراحة لتعرف
كيف يقوم مبكرا نشطا لاداء واجباته المكتبية. وبالله ماذا تنتظر من امرأة هذا
الحيوان ان تفعل بل ماذا تظن بامكانه ان يؤدي من الاعمال والسهر قد اجهد
فكره بينا مطالب المدينين تتمثل امامه كل دقيقة

الم يحن لهذا البلد ان تنظم فيه التربية الاستقلالية بعد . ليس هناك طريق
للاستقلال الا منها

الجد العاشر

- ماهذه العواطف المتحجرة ؟ .. اليس لك قلب ؟ ! ...
- قلت لك مراراً يا صديقي . انى لا اشعر من نحكك الا شعور صداقة ...
- يا للسماء ! كان على الله ان يخلقك رجلاً وليس امرأة ؛ فقد غلط غلطاً لا يغبط عليه ، واثار بي حفيظتى من هفوته هذه ...
- هاها ! فما هذه الفلسفة العقيمة ؟ انتم معشر الرجال تدلون براهين مزخرفة لنيل ما آربكم ، انا لا اشعر بعاطفة حب ، ولن يخفق قلبي لهذه العاطفة نية ، ولا أرى ما يسوغنى لأن احب ...
- يا للأبالسة ! ان قلبك لأشد قسوة من قلب الرجل ، وان الرجل ليلين قلبه . وترق عواطفه . حين دخول الحب اليه . او حين يشعر به لاول وهلة . فكيف بك . وانت فتاة ، والجنس اللطيف مشهور برقته ودقة حسه ؟ ! ... ثم ان تجردك عن مزايا الانوثة المحبوبة وقساوة قلبك الآن ، لا يمنعناك عن الوقوع فى الحب يوماً ما
- لست انا بحاجة إلى الحب يا ارمان ...
- كلاريس ! احبك ! ... اعبدك ! ... فما هذه القساوة ! ... بادليني الحب ! .. ا كذبي على ! ...
- لست انا بحاجة لحبك ... —
- ولما رأى ارمان قساوتها ! وانها لا تبادله عاطفته ، تركها يائساً ، والدروع تتناثر على خديه ، ثم التفت اليها :
- الوداع ! ...
- سنبقى صديقين يا ارمان ، إلى الملتقى
- الوداع ! ...

ارمان كاتب رقيق ، محبوب من قرائه . ولكنه كان في أول عهده بالكتابة ،
ولذا لم ينل شهرة واسعة

احب كلاريس من ثلاث سنوات ، حب صداقة ، ثم تحول حبه إلى حب
جنسى . ولكن كلاريس ، تعتبر حبه لها بمثابة صداقة ، ولا تعترف بغيرها .
وظالما يبيتها غرامه ، فتجيبه بأنها صديقان ، وهي لم تفكر يوماً ، ان صداقتها
هذه تتحول إلى حب ، وانها تنهزاً منه كلما يشاء هواه ، وتسخر من الحب
والخبين !

..

دخل ارمان في طور جديد في حياته الادبية ، فقد غدا كاتباً كبيراً ، وروائياً
شهيراً . تتسابق الصحف والمجلات لنشر كتاباته ، وتتنافس شركات النشر لشراء
رواياته ، كما انه لم يحرم من تمثيلها في اكبر مسارح لندن ، حتى أصبح يشار إليه
بالبنان ، ونال ثروة كبيرة من مؤلفاته الكثيرة ، التي يتحف بها الادب والتمثيل
كل حين وكان ذلك بعد مضي خمس سنوات على فراق كلاريس ، ولكن جذوة
حبه لم تخمد من فؤاده بعد ، فقد كتب مأساة (تراجيدى) اودع بها قصة غرامه ،
وافرغها جميع عواطفه ، وحبه ، ودموعه ، حتى غدت خير مؤلفاته ، ورائعة
من روائع الفن

..

مرت كلاريس في احد الايام في احد شوارع لندن . فقرأت اعلانا بحروف ضخمة

المجد العائى

تراجيدى ، ذات ثلاث فصول كبرى . وهي رائعة :

الكاتب العظيم : المستر ارمان

.. ارمان ! . . .

رددت كلاريس هذا الاسم . وهي تائهة ، فشعرت بعاطفة الحنين ، والذكرى
للفتى الصديق . الذى قضت في صداقته مدة طويلة . ثم صممت على حضور الرواية
حضرت الرواية مساء ، وهي ترجوان ترى صديقها القديم بعد فراق خمس

سنوات . وقد بلغت الآن السادسة والعشرين ، وهو الثلاثين
احتلت شرقها ، واجالت طرفها ، في الشرفات ، عليها نجده ، ولكن لم
يصدق ظنها

قرب موعد ابتداء التمثيل ، فها هذا الخفقان الذي في قلبها !
وما عساه ان يكون !

قد يحضر الآن ، ولكن ما لقلبها يخفق ؟

وما علاقة ذلك بقدمه ؟ ورؤيته ؟

وقبل رفع الستار بدقائق ، دوى تصفيق حاد ، وهتاف :

— المؤلف ! ... المؤلف ! ...

فاضطربت كلاريس ، ونظرت الى حيث اتجهت الابصار فرأت ارمان مع
بعض اصحابه في مقصورة بقرب مقصورتها ، فجرى الدم في عروقها . وزاد خفقان
فؤادها . فهتفت :

— بالله ! مآدهاني ! ...

رفع الستار وابتدأ التمثيل ، عن رواية مفاجئة . تمثل ارق العواطف ، وادق
الشعور . ففكرت كلاريس ، ان هذه الرواية تشبه حادثة تعرفها . وتشبهها بعض
الشبه . ثم ادركت انها قصة ارمان معها ، فكادت تصرخ من وقع حوادث الرواية
في نفسها ، وكانت لا تحول بصرها عن ارمان ، الا لمشاهدة التمثيل وهي تسمع
كل حين تصفيق الاستحسان من النظارة ، حتى آتى الفصل الثاني وهي في اشد
شوق لمعرفة النهاية ، وكيف عسى ختمها ارمان ، لانها لم تجر معها بعد ، وقد
تجربى في المستقبل . من يدرى !

ثم رأت الممثل الذي يمثل دور ارمان جاثيا عند قدمي الممثلة التي تمثل
دورها :

— ارمان ماهذه العواطف المتحجرة ؟ اليس لك قلب ؟

كلاريس — قلت لك مرارا يا صديقي اني لاشعر من نحوك الا شعور صداقة
ارمان — ان تجردك عن مزايا الانوثة المحبوبة ، وقساوة قلبك الآن ، لا

يمنعك عن الوقوع في الحب يوماً ما
 كلاريس — لست انا بحاجة الى الحب يا ارمان
 ارمان — كلاريس ! احبك ! . . . اعبدك ! . . . فما هذه القساوة ! . .
 يادليلني الحب ! . . . اكذبني على ! . .
 كلاريس — لست انا بحاجة لحبك . . .
 ثم يتركها يائسة . وهو يبكي ، ويقول بصوت حزين .
 — الوداع ! . . .
 وينزل الستار

لا تكاد كلاريس ترى هذا المشهد . حتى تصبح صيحة خافتة
 وتغطي وجهها بيديها ، ثم تلتفت الى ارمان . فتراه يحدق بها برفق
 وقساوة ودهشة . اذ سمع صيحتها ؛ وراها لأول مرة . على هذه الحال وعلم
 تأثير الرواية الحثيث فيها ، واما هي ، فاشاحت بوجهها عنه خجلاً ، لتساوتها
 الماضية معه

يرتفع الستار فتعمر مشاهد أمامها لا تحفل بها . الى أن يمر المشهد الاخير ،
 فتري ارمان وكلاريس . بعد مضي خمس سنوات :
 ارمان جالساً يقرأ في صحيفة ، وكلاريس تنظر اليه بحزن و توسل ، وهو
 لا يزال يقرأ ، فتتهف كلاريس :

— ارمان صديقي القديم ! اذكر كلاريس الفتاة القاسية القلب
 واما ارمان ، فلا يجيبها . ولا ينظر اليها . ويستمر يقرأ . فتقترب منه
 كلاريس . وقد بللت الدموع يديها ، مادة يديها تتوسل بصوت مضطرب :
 — ارمان احبك ! . . . أعبدك ! . . .

يجيبها ارمان بتكلف وجفاء ، دون أن ينظر اليها :
 — لست أنا بحاجة الى حبك
 ويذهب من أمامها ، فتري كلاريس على مقعد باكية يائسة وينزل الستار

لا يكاد ينزل الستار حتى يسمع صرخة وجسم يهوى على الأرض فيسرع
ارمان لمقصورة كلاريس . فيجدها فاقدة صوابها من تأثير تلك الصدمة الغنية ،
فيهمس في أذنها :

- كلاريس

وبعد لأي تفتح عينيها ، وتنظر إليه ثم تطبقهما . وهي تنهد ، فيناديها :

- كلاريس

فتفتح عينيها ثانية ، فيجدهما أرمان ، مغرورقتين بالدموع ، وبعد ان
تفرس فيه برهة ، تهمس باكية :

- ارمان ! . . . أتحا أنت فاعل ذلك ؟ !

كان ارمان مصمما أن يقابل كلاريس ؛ فيما لو جاءت يومًا تبته غرامها
كما ختم الرواية تمامًا ولكن عند رؤيته أياها بهذه الحالة المحزنة ، وأنها تحبه حقاً
رق قلبه لها ، ورجعت هزة الحب إليه ، وذكرى أيامهما السالفة ، فيجيبها :

- وما يهمك من كل ذلك ؟

- ارمان : ماذا تقول !

- قلت أنك لا تشعرين بعاطفة حب ، ولا يخفق قلبك له ، ولا ترين ما
يسوقك لحبي ، فما شأنك بختام الرواية إذن ؟

فنظرت إليه بتوسل وتقول باكية ، وهي لا تزال بين ذراعيه :

- آه يا أرمان لو تعلم يا صديقي

- ماذا لو أعلم يا قاسية ؟

- . . . كم أنا نادمة لقسوتي الماضية معك ، فان قولك لي :

« إن تجردك عن مزايا الانوثة المحبوبة ، وقساوة قلبك الآن . لا يمنعناك

عن الوقوع في الحب يوماً ما »

ان قولك هذا ، ما فتىء يرن في أذني كل هذه المدة الطويلة ، وكم كنت

أشعر من الحنين اليك حين أقرأ رواياتك

ثم قربت وجهها لوجهه ، وحدثت بعينيها برغبة حارة قوية ، فشم ارمان

بمخفتان قلبها ، ودموعها المحرقة وأنفاسها الحارة تلهب خديه ، ثم تضغط على يديه
ثم قالت بدعة وهوادة وتوسل .

— ارمان ! حبيبي ... أنا في حاجة لحبك ! أحبك !.. اما جدت على ؟
هلا سألحتني ، ونسيت ختام الرواية يا حبيبي ؟ ! ...

فيضمها لصدره بشغف ، ورفق ، مرتشفا شفثيها ، باسمًا قائلًا.

— سأحاول ان أنساها

بيروت

منير الحسامي

نظرات

فى الحياة العامة

عن لورد ادوارد غراى

بدأ المحاضر بذكر اشتراكه فى الحياة السياسية سنة ١٨٨٤ ثم استطرد إلى مقارنة الحالة اذ ذاك بما هى عليه اليوم . و انتهى إلى القول بأنها كانت اذ ذاك أبسط مما عليه الآن وانه فى ذلك الوقت كادت كل هموم رجال السياسة تنحصر فى توسيع حق التصويت فى المقاطعات ، أى استكمال تأسيس الحكومة على الأسس النيابية أو التمثيلية . وكان من المفروض أن تأسيس الحكومة على هذا النظام يستتبعه علاج كل نقص تشعر به البلاد من جراء حكمها حسب النظم التى هي اقل تمثيلاً للشعب بيد انه لم يلبث ان اتضح لنا أن كل النقائص التى يمكن ان تنسب حقاً للنظم الحكومية السابقة للنظام النيابى التام المكتمل الجوانب لا تلتئم تماماً مع النقائص التى ظن انها راجعة إلى هذه النظم بيد ان هذه المساوىء الناشئة عن النظم السابقة قد ازالها الحكومة النيابية التى أصبحت أكثر ديمقراطية مما كانت عليه ، ومع ذلك ظلت هناك اسباب أخرى ظن فى أول الامر أنها وليدة النظم السابقة وظهر على وجه التحقيق انها راجعة لسببات أخرى . وفى ذلك الوقت لم يرتب اى إنسان أن الحكومة النيابية الديمقراطية هي خير الحكومات وانها تقوم بحاجات المجتمع بقدر ما تستطيع أن تضطلع بها اية حكومة . بيد انه لامناس من التساؤل عن مركزنا الحالى . اذنى مستهل معالجتى للشئون العامة بدأ عهد تأسيس الحكومة على النظم النيابية الديمقراطية دوره الثانى . وقد عبسنا للعهد الذى رأينا فيه الحكومة الديمقراطية توضع تحت التجربة و يوازن بين محاسنها ومساوئها على نمط لم نعهده حين اشتر كنا .

في تأسيسها . وفي بعض البلاد لم تعد الحكومة الديمقراطية تعتبر مثلاً أعلى . ولا
اعتبر ما حصل في روسيا مثلاً لذلك

إن روسيا لم تتمتع يوماً ما بالنظام النيابي ولذلك فالنظام الذي لم يعمل به
مطلقاً ولم يجرب في روسيا لا يمكن ان يقال ان من شأنه ان يحل
نظاماً مكان هذا النظام أو أن هذا النظام قد عاد بالفشل في روسيا الا أن
ما حصل أخيراً في إيطاليا الذي دلالة خاصة اذ كان لها حكومة ديمقراطية ، وقد
حل محلها نظام لم يكن من المفروض أن ينشأ دون تعزيد الرأي العام وهذا
النظام ليس مؤسساً على الانتخاب البرلماني بل على القوة المنظمة . وعلى العموم
نرى في وقتنا الحاضر على الأقل ان نظام الحكم الذي اعتبرناه المثل الأعلى في
بلادنا قد اوقف العمل به في إيطاليا ، ومن المحتمل ان نراه كذلك ينهار في بعض البلاد
الأخرى ولو إلى حين ويحل محله نظام آخر وذلك تحت ضغط الفوضى والاضطراب
الذين يسودان أوروبا الآن .

اصبح الكثيرون يرتابون في صلاحية النظم الديمقراطية النيابية مما لم
تعد له مثيلاً من قبل الا أني شخصياً ما زلت ادين بهذه المبادئ كما كنت في
أى فترة من حياتي ولست في معرض تعداد المحاسن والمزايا العظيمة التي نلناها
من الحكم النيابي الديمقراطي مما يعد نجاحاً عظيماً لهذا النظام اذا قيس بالنظم
السابقة — من اتساع التعاليم وانتشاره إلى رفع مستوى الحياة على الوجه العام
وتطبيق العدالة على الجميع دون محاباة بيد أن الكثيرين يحكون على النظم الديمقراطية
لاحسب مستوى النظم التي سبقتها بل طبق ما يجب الوصول اليه على حد تصورهم
ومن المستطاع المناقشة في ان بعض المزايا التي نلناها من الحكم النيابي أخيراً قد
كان في الامكان نوالها تحت أى نظام آخر .

الا أن هناك شيء واحد أعتقد أن لانه في وجهه وهو اننا نتمتع في عصر
الحكومة الديمقراطية النيابية با كبر قسط من الحرية الشخصية الفردية مما لم
تتله أية دولة وقد كنت مستمعاً لمحادثة جرت بين شخصين من اولى العقل الراجح
والبصيرة النافذة من الأمريكيين يقارنون فيها الحياة العامة في امريكا بمثلثاتها

في انكلترا فقال احدهم « انه مما استحسنه في الولايات المتحدة هو انعدام كل شعور طائفي . ففي انجلترا تقاليد قديمة بين الطبقات وفوارق تدعو إلى التحفظ والتحجز بينها وفوق ذلك فهناك شعور طائفي عظيم ولو انه قل كثيراً عن ذي قبل ففي امريكا فوارق في الثروة . بيد أنه ليس هناك ما يستتبع ذلك من الاحساس الطائفي المؤسس على هذه الفوارق بقدر ما في انكلترا فالجميع مجتمعون على قدم المساواة ويتحدثون بصراحة ودون تحجز أو تحفظ أو ارتباك ناشئ عن فوارق طائفية وهذا من أمتع ما تصل اليه الحياة الحرة

(وان خبرتي الشخصية اثناء رحلتي القصيرة في امريكا اشعرتني بذلك شعوراً صادقاً)
فرد عليه الاخر قائلاً « انت محق في ذلك الا انه في امريكا تتداخل السلطة التنفيذية اكثر مما في انكلترا في الحرية الشخصية و الامريكيون هنا اكثر تسامحاً ازاء هذا التدخل (إلا أنه لا يمكنني ان اصرح برأى في هذا الموضوع) .
هذه المحادثة امتعنتني وحفزتني للتفكير إلام ترجع حريتنا الشخصية في هذه البلاد وما هو الضمان الرئيسي؟ ويلوح لي أن الضمان الحيوي لها هو أنه ليس الا بر قاصراً على حكومة منتخبة بالنصويت الشعبي بل تعتمد من يوم لاخر مادام البرلمان في دورته، على ثقة ممثلي الشعب . فلو حصل هنا ما يعتبر تدخلاً لا مبرر له في حرية الافراد من أية طبقة كانوا او وقع ما ينافي احساسنا بالانصاف وشعورنا بالعدالة فعلى الحكومة احقاق الحق ورد المظالم وإلا فلابقاء لها بعد ذلك وانى اعتبر الضمان الرئيسي لحريتنا الشخصية هو مسؤولية الحكومة اليومية مادام البرلمان منعقداً أمام ممثل الشعب المنتخبين ولا اقدر ان اتصور نظام آخر للحكم لا تدخل معه في حرية الافراد الشخصية كهذا النظام الذي نعيش الآن في ظلاله ومن الممكن المناقشة جدلاً انه من المحتمل أن نزال بعض المزايا من نظاماً حكومياً آخر . بيد اني موقن ان الأمن الذي نبنيه منا هو الخضوع للتدخل في حريتنا الفردية اكثر مما نعهده في نظامنا الحالي . وانا انحرص على هذا الكنز التالذ من حرياتنا الشخصية حتى أنه مهما كانت النقائص اللاصقة بالنظام الحالي فاني افضل المساواة

الحالية على غيرها في أى نظام آخر من شأنه ان يفرض علينا قيوداً جديدة شديدة تكبل حر يتنا الشخصية بقيود من حديد

ولذا فاني اخص المساوىء لا لأبين ان الحكومة الديمقراطية النيابية نظام يمكن احوال نظام آخر محله او ايقافه مع فئدة تعود من جراء ذلك على المجتمع بل لا بحث في خير الطرق لتدعيم هذا النظام وتحسينه وما يجب الحذر منه في الحكومات الديمقراطية النيابية هو الاتكال على النظريات والتعميمات التي قد تكون غير مؤسسة على المقدمات الصحيحة فليس هناك من نظرية أخاذاة اجلب للاغتباط من « حكومة الشعب بالشعب وللشعب » فقد كان لهذه العبارة رنة نفحة في الخطاب العظيم الذي القاه ابراهام لنكولان . بيد أنه ليس من الحكمة استخدام هذه العبارة جزافاً وعن ثقة عمياء اذ نفترض ان الشعب يميل عن رغبة إلى الاضطلاع بمهام الحكم وله من الكفاية ما يقدر به على تحمل اعبائها

فان لم تتوفر فيهم هذه الرغبة ولا الكفاية اللازمة للقيام بهذه المهام فالنظرية السالفة الذ كر تكون صحيحة . و بنفس الطريقة نعتبر العبارة العامة « حكومة الرأى العام » كنظرية . فالرأى العام هو المحكمة العليا التي طالما سمعت قادة المعارضة في مجلس العموم يهددون به الحكومات — انها لنظرية بدیعة حقاً بيد انها تفترض ان هناك رأياً عاماً وليس ذلك فحسب بل ان هناك رأياً عاماً فاضحاً مكوناً مستعداً للحكم في اى مسألة خاصة واصدار قرار له فيها وتفترض هذه النظرية فوق ذلك ان السياسى المتفوق في الحكومة الديمقراطية هو الرأى العام في حين ان كثيراً من مساوىء هذا النظام راجع إلى الحقيقة التي لا شك فيها وهي أن الرأى العام ليس بالضرورة سياسى وليس بالسياسى العظيم البتة

وسأضرب لذلك مثلاً بتاريخ ارنلدا اثناء عدد من السنين وعلاقتنا بها فلم يكن هناك رأى عام عن ارنلدا طوال السنين ولم يكن هناك من يهتم بارلندا او على علم بشؤونها وليس ذلك من حسن السياسة في شىء وكان ذلك مصدر كثير من مساوىء الحكم الانجليزى في ارنلدا وما لبث ان اعتنق احد الاحزاب الانجليزية الكبيرة مبدأ الحكم الذاتى لارلندا (الهوم رول) فبعث ذلك في

الرأى العام اهتماماً حقيقياً بشؤون أيرلندا . الا أن انقسامه بلغ مبلغاً لم يستطع معه اتباع أية سياسة ثابتة . واصرح بالقول أن المؤرخين في المستقبل سوف يعيبون السياسة الانكليزية في معالجتها شؤون أيرلندا وسوف يعيبون ساستنا . غير أن العيب الحقيقي لاصق بالرأى العام وسيعتقد الهوم رولى انه لو كانت هناك اغلبية عظيمة من الرأى العام في جانب مشروع المستر غلادستون سنة ١٨٨٦ لفاز هذا المشروع وحلت المشاكل الأيرلندية . ومن جهة أخرى فالنصار الاتحاد مع إنجلترا سيرون دائماً انه لو ناصر الرأى العام سياسة سالبورى وبالفور في الاغضاء عن مشروع الهوم رول لحلت المسألة الأيرلندية بهذا الشكل . ويحكى أن اتصور الآن ماذا كان يرد كل من غلادستون وسالبورى وهو أن كليهما كان يعتقد صحة سياسته الأيرلندية بيد أن لم تتح لاي منهما من الظروف المساعدة ما كان يمكنها من تنفيذ سياسته فربما كان هذا على حق وكان ذلك مخططاً الا أن انقسام الرأى العام لم يمكن أى من السياستين من قسط كاف من النجاح وهذا معناه أن ليس للرأى العام كفاية سياسية ولو أن سياسة ثابتة محدودة قد اتبعت بالفعل ازاء أيرلندا . الا أنى أرى أن الرأى العام سلم بهذه السياسة في آخر الأمر تسليماً ورضخ لها ولم يكن ذلك منه تقريراً إيجابياً . ولست هنا في معرض النقد لها الا أنى ما زالت اعتقد أن الرأى العام ارتضى هذا الحل وسلم به لاعتقاده في صوابه من الوجهة السياسية وتوفيقه بعد امعان النظر فيه وتدبره بل عن الرضاء السلبى الناشئ عن مجرد الكلال والسآمة والاعياء وهتى كان الامر كذلك ساقنا ذلك إلى التفكير في أن الحكومات الديمقراطية النيابية بحاجة ماسة إلى السياسة العملية والقيادة الرشيدة وان الاساس المأمون الوحيد الذى تركز عليه هذه السياسة هو أن الرأى العام يجب أن تسوده الروح السياسية العملية .

وهذا يحدو بنا الى التفكير في ناحية أخرى وهو ان كبريات المسائل السياسية التى كانت مبعث التفرقة بين الاحزاب بين ١٨٨٥ ، ١٩١٤ كانت التوسع في اعطاء حق التصويت حتى يشمل المقاطعات ومسألة الحكم الذاتى (الهوم رول) لأيرلندا وحماية التجارة وهذه مسائل سياسية بحثة اى انه من الممكن انفاذها بقانون يوافق

عليه البرلمان . وكان ذلك الطريق الوحيد . وهذا مما جعل الامر هينا يسيرا بين الاحزاب .
السياسية الا اننا نتساءل الآن ما هي اهم المسائل السياسية الداخلية في شئوننا
العامة في الوقت الحاضر

— ارى ان ذلك ينحصر في العلاقات بين الرأسمالية والعمل — اى بين
العمال واصحاب رؤوس الاموال وهذا يفوق من حيث الاهمية كل المسائل الداخلية .
وهنا نتساءل الى اى حد تذهب علاقة هذه المسألة بالسياسة ، بمعنى انه يمكن حلها
بين الاحزاب في مجلس العموم . فاذا سلمنا بانها تحل بالقضاء على المشاريع الفردية
وجعل الصناعات الرئيسية ملكا للدولة فتلك مسألة سياسية يحلها البرلمان بيد اى
اعلم علم اليقين ان اغلبية الناس لم تقتنع للآن بان جعل الصناعات ملكا للدولة
يؤدي الى تحسن الاحوال مع يقينهم ان العلاقات بين الرأسمالية والعمل ليست
مرضية ومع اقتناعهم ان ثمة تغيير يجب ان يحدث فهم يتطلعون اليه من نواح
أخرى — فما هي هذه النواحي ياترى؟ — كنت مكبا على قراءة كتاب ذات يوم
كتب عن علم ودرايه لمفكر يسعى باخلاص لان يكون منزها عن الغرض والتحيز
في موضوع اهم ما تبغيه ا كثرية جماعات العمال المنظمة وما هي اولى المسائل التى تشغل
بال الطبقات العاملة في الوقت الحاضر وسأورد هذه المسائل بالترتيب الذى اورده
الكاتب حسب اساسها بمصالح العمال ورفاهيتهم

واولى هذه المسائل هي تأمينهم ضد البطالة وليس ذلك قاصر على معالجة
البطالة الحالية بل تأمينهم من شر غائلتها في المستقبل وقد استنتج الكاتب من
محدثته للعمال انهم لو امنوا ان شبح البطالة لن يدوم طويلا وسيكون مؤقتا لا اعتبروا
ذلك من اعظم الخيرات التى ينتظرون نوالها والى اعتقد ان خير الطرق لمعالجة
ذلك والوصول الى خير النتائج باقل ما يمكن من التبذير في الجهود والوسائل مع
تحاشي ما يمكن ان يؤول الى سوء استعمال السلطة هو التأمين الحقيقى ضد البطالة
في الصناعات الرئيسية . ولست بحاجة الى مناقشة الفوائد التى تعود من ذلك فاني
ارى انه مادام الامر كذلك فيجب ان يتضافر على هذا الحل العمال واصحاب

نزعوس الاموال بالتضامن الوثيق. وثانى الاشياء التى اوردتها المؤلف مركز العمال. فهم مستأوون اذ لا نصيب لهم فى الاعمال الكبيرة ولا فى ادارتها وسياسة شئونها وفضلا عن ذلك فيحزنهم احساسهم ان كل التدابير التى من شأنها المساس بمعيشتهم اليومية والتى تتخذ لادارة هذه الاعمال تراعى فيها راحة صاحب المال دون اعتبار الطرف الآخر وهم العمال الذين لا يعطون اى نصيب فى تدبير الامور اى ان العمال يستهجنون ان لا يزيد اعتبارهم على انهم اجزاء فى آلة العمل بل يجب أن ينظر اليهم كعنصر يجب استشارة فيما يتعلق بادارة هذه الآلة . ان هذا امر ليس من الهين معالجته ولست اعتقد ان فى مقدور البرلمان حله على الوجه المرضي وليست اهميته ذلك بخافيه بيد انه من الميسور ومن اللازم علاج ذلك بحسن الارادة بين الطرفين وبالروح السياسية العملية بين العمال واصحاب الاعمال بالمفاوضة المباشرة دون وساطة البرلمان .

وثالث تلك المسائل مسألة الاجور وتنحصر فى انه يجب أن يحصل العمال على أكبر نصيب ممكن من ارباح الصناعة وهذا أيضا من المسائل التى اعتقد ان فى مقدور الدولة حله بل يجب ان يتعاون فى ذلك العمال واصحاب العمال أى بواسطة الهيئات الكبيرة المنظمة من اصحاب الاعمال ومثيلاتها عند العمال بالنشاور والمفاوضة بينهم وهذه المسائل ذات الاهمية الحيوية مما يتطلب التدبير السياسى العملى كما لو كانت تعالج داخل البرلمان مع ذلك الفارق وهو أن التدبير السياسى المطالب والكياسة العملية مطلوبان من أولى الشأن الذين يجتمعون ويتشاورون فيما بينهم لحل هذه المسائل وفى النظام الديموقراطى أكثر من أى نظام آخر يتطلب تصريف الامور وحسن التدبير السياسى ولكى تنجح النظم الديموقراطية فى معالجة المسائل الكثيرة التى لا يمكن تصريفها على الوجه الاكمل بواسطة ممثلى الامة فى البرلمان يجب على الذين يهمهم الامر دون غيرهم استخدام هذه الكفاية السياسية العملية فى معالجة مسائلهم مباشرة واذا وصلنا الى هذه النقطة وهى أن حاجة الرأى العام لسياسة عملية رشيدة أمس وأبعد مدى مما عليه الآن فلنستأمل ما ترى يكون علاج ذلك؟ وانى اعتقد ان الجواب الحقيقى على ذلك هو (التعليم) ولا نقصد

بذلك التعليم الابتدائي ولا الثانوي بل تعليم الراشدين وهو التعليم الذي يغذى به الشعب نفسه بعد حصوله على خير التعليم في مرحلتيه الابتدائية والثانوية وبعبارة أخرى هو جعل التعليم العالي (تعليم الجامعات) في متناول الحاصلين على التعليم الثانوي ممن يمارسون مختلف المهن والذين اختطوا لأنفسهم سبيل الحياة المتشعبة . واني أرى أن هناك اقبالا هائلا على هذا الصنف من التعليم وأن الشعب متعطش اليه بقدر لم نره قبل الآن ومتى كان الامر كذلك يجب أن نقوم بهذا المطلب وهو من الممكن تحقيقه وفوق ذلك فالتعليم العالي (التعليم الجامعي) مزية يمتاز بها على كل من التعليمين الابتدائي والثانوي في أن تكاليف نشره وتيسيره لافراد الشعب أقل بكثير منها لان الأمر لا يتطلب مبالغ عظيمة ترصد في بداية الامر على أبنية جديدة للمدارس والاتفاق عليها وصياغتها مما يتطلبه الأمر في التعليمين الابتدائي والثانوي وقد قيل لي أن نصف مليون من الحنيئات سنويا تخطو بنا خطوات عظيمة لسد حاجة أفراد الشعب النفسية الذين يدر كون بحق أن التعليم الذي يتخرج بنفسى الرجل او المرأة حتى يصبح جزءا منها هو التعليم الذي يسعون اليه ويطلبونه بوازع من أنفسهم في سن رشدهم وان مبلغ النصف مليون الذي ذكرناه سالفًا ليحقق لنا غرضًا من أسمى أغراض الوطن . وهناك ينبوع آخر للتعليم وهو مصدر هام الا وهو الصحافة (وهنا أشار اللورد غراي الى أن ضعف البصر الذي انتابه اخيرا حدا به الى الاقلال من مطالعة الصحف بيد أن ما ييسر له الاطلاع عليه منها يمكنه من الحصول على معلومات جلية عن الصحافة) وهناك مقالات افتتاحية كتبت عن علم ودارية وتفكير وقوة اقناع بصرف النظر عن اتفاقى ووجهة نظرها أو اختلافى ، ولو حان لك ان تتناول الصحافة باى نقد فاطن أن ما ترد به عليك هو أن المسيطرين عليها يرقبون انتشار صحفهم ولشعب أن يختار نوع الصحافة الذى يستحقه وهذا هو شأن الشعب ونفسه

وكما اسلفت فقد دلتنى خبرتى على أنه فى مقدورك أن تحصل على تعليم قيم من الصحف وعلى الشعب نفسه يقع عبء اختيار الصحف التى يطالعها أنا كانت

والمصدر الثالث لتعليم الشعب هو السياسة أنفسهم ولا أسمح حيث يسىء هؤلاء استعمال نفوذهم وأعود فأكرر أن للشعب السياسة الذين يستحقهم وأن في يده العلاج وهناك ميل مفرط في التحدث إلى الشعب دون ثمة ضرورة أو جدوى بدل التطلع إلى سمو الشعب إلى مستوى أعلى (ومثل ذلك النشرات التي تصدر في الاجتماعات السياسية) وقد اطلعت على نشرات سياسية (ولا أذكر مصدرها الحزبي) يلوح أنها كتبت على افتراض أن متوسط الناخبين متصف بالطفولة والجهل المطبق والانانية المفرطة وعقيدتي أن النشرات أو الخطب السياسية التي تحط من قدر المستوى العقلي أو الخلقى للشعب هي قول هراء فلا تنفذ إلى قلب الديمقراطية ولا تلي دعوة تلبية حقه إلا إذا اتجهت إلى غرائز المجتمع ومشاعره العليا لا السفلى منها

ومما اقنعت بصحة ذلك المحادثات التي كان من حسن حظي التمتع بها أثناء الحرب مع المرحوم المستر بيدج الذي كان سفير اميركا في بلادنا وقد بدأنا الآن نشر بالدين العظيم الذي تدين به بلادنا له ولست هنا في معرض تعداد الخدمات الجليلة التي أدها لنا ولبلادنا واستعراض صفاته السامية بيد أني أثبتك بصفتين ساميتين زادنا في قدر إعجابي به واحترامي له أكثر من أى شخص آخر وهاتان الصفتان ذاتا مساس بالموضوع الذي نعالجه الآن أحدهما شعوره العميق بالعدالة ضد الظلم وقد شعر بها أن هناك مسألة ذات مساس بالناحية الخلقية فما تردد لحظة من ذلك الوقت في أن يزن الموضوع كله بميزان العدالة بحيث كان هذا الاعتبار هو الفيصل الذي يصدر الحكم الأخير في الموضوع وبذا زاد اقناعه وتحمسه ونشاطه في الدفاع عن هذا الأمر . والناحية الأخرى من خلقه أنه متى اقتنع بصحة الموضوع أهاب بالديموقراطية العظيمة التي يمثلها علما علم اليقين أنها تلي دعوته متى كانت الدعوة صادرة عن عقيدة قوية في مسائل حيوية

وإذا لم تلب الديمقراطية دعوة حقة لم يكن رأيه أن الدعوة فوق مستوى عقل الشعب بل أنها لم تتصل بعاطفة سامية عميقة تحركها والا لى الشعب الدعوة بالامحالة . ولم يصادفنى طول حياتي رجلا كالسترفينج بعث في نفسى عقيدة ان

إيمانه بالشعب قوى مخلص لا يتزعزع. وقد كان أكثر الناس إيماناً بالديموقراطية وما
أشرت إلى هاتين الصفتين إلا لابين أنه في مقدور السياسيين أن يركنوا اليهما
أكثر مما هم عليه الآن ويعملون على غرس هذه الصفات وبنها

وخلاصة القول هو مالا حظته أن من أخطار الديمقراطية الكبرى قلة الاهتمام
وعدم الاكتراث وثبات الرأي العام أى عدم وجوده وليس من إصلاح يرجى
إلا إن نبين له أن هناك شئونا خلقية في خطر يهددها ومتى أبنت له عن ذلك
أيقظت الرأي العام والخطر الآخر هو النشاط العظيم من جانب شطر من الرأي
العام. وهذا النشاط موجه لدعاية خاطئة طائشة يعوزها السداد والرشد وترتكز على
فرض معرفتها كل شىء. بيد أن الحقيقة أنها لا تدرى إلا القدر القليل واكبر مصلح
لذلك هو التعليم وخاصة تعليم الراشدين

وهناك عامل في انعاش الرأي العام وبعث الحياة فيه وإيقاظ همم الديمقراطية
واهتمامها بالصالح العام وهو توفر الشخصيات البارزة في الحياة العامة وليس
بكاف أن تكون هناك آراء ومعارف ومبادئ فقط بل يجب أن يكون
هناك شخصيات قوية حية وأن تاريخ كل الديانات لتفسير ما أرمى إليه المبادئ
الخلقية كانت دائماً رائداً نشعر بوجوده وبكيانه أجيالاً مختلفة بيد أنه يظهر دائماً
في عصور معينة عظيمة من تاريخ البشر شخصية عظيمة تتجسم فيها هذه
المبادئ العظيمة فتصير حيوية وتحرك جماهير من البشر بطريقة لم تعهدها هذه
من قبل. واست بمفكر في المسيحية وحدها بل في كل الحركات الدينية كالإسلام
والبوذية والكونفوشيوسية. فإن وراء هذه الحركات العظيمة في تاريخ الإنسانية
شخيات عظيمة

لذا نحن في حاجة ماسة في إدارة شئونا العامة إلى الشخصيات البارزة التي
فيها تتجسم كبار المبادئ السامية في حين أن هناك الخطر الحقيقي وهو أن الديمقراطية
قد تخطىء في اعتبار هبة الخطابة بين الجماهير فوق شأنها الحقيقي فالرجل العام يصير
جذاباً بما خص به من فصاحة ولباقة في التحدث إلى الجماهير ونحن نميل إلى رفع
شأن الناس فوق قدرهم الحقيقي عن إعجاب بخطاباتهم الرنانة. فسبك العبارة متى

طرأت آذاننا تشعرونا أن وراءها لا محالة علما فياضا وثبات مبدأ وغرض خالق سام . وبالاختصار كل الصفات الجميلة التي نطلب الى الرجل الحقيقية أن يتحلى بها ولكن لا يستتبع أن يكون الرجل فصيحاً لبقاً متكلماً حتى يكون حائراً هذه الصفات . وأحياناً نرى أنه في الديموقراطيات تتغلب صفة الفصاحة والبلاغة وتود سائر الصفات وأنه من المحتمل أن يغمر بها في هذا السبيل

وتنحلي في اقدار الرجال فترى صغار الرجال يميزان كبارهم وتتخطى الجليل من الرجال ممن لم يوهبوا لباقة قول وفصاحة لسان ولست من الذين يرون أن هذا الخطر على القدر الذي قد نتوهمه وإذا لم نخنئ الذاكرة فقد كان ورد سورث صاحب القول المأثور أرسامع بعض كبار الخطباء في البرلمان حوالى أخريات سنى القرن الثامن عشر . وهو أنه خرج بعد سماعه « برك » ورأسه مليء بالقول ومن سماعه « فوكس » وشعوره ما يهب مثار . ومن سماعه « بت » وهو معجب من قدرته على اظهار الباطل يتغلب على الحق بيد أن هناك من الرجال من يتحلى بصفات أجل من هبة الفصاحة والبلاغة فقد كان المرحوم المستر بيرت خطيباً ذكوهما من الطراز الاول بيد أنه كان هناك غيره من المبرزين في الخطابة وكان منهم من هو أكثر مقدرة على نوال تصفيق الجماهير إلا أنه لم يبلغ أحد هم مبلغ نفوذه في الرأي العام وذلك راجع الى أن تفوق المستر برت لم يكن ناشئاً عن هبة الفصاحة (وقد فقه فيها الغير) بقدر اخلاصه وخلقه المتين وواسع معارفه وبعد مطارح فكره مما غذى خطباته وأكسبها قوة وقيمة .

ولذا فاني في آخر الامر موقن أنه وإن كان من الضروري توفر قدر من الفصاحة والبلاغة لخوض غمار الحياة العامة فالرجل ذواخلق القويم الواسع الاحاطة بمسائل البشر سوف يتغلب في آخر الأمر على المتكلم المفوه مهما كان مبرزاً في هذا الميدان مع نقص في الخلق أو في المقدرة على التفكير والادراك وهناك أمر آخر جدير بالاعتبار بجانب تأثير الرجل العاملين في ميدان الشؤون العامة في الحياة وهو تأثير الحياة العامة فيهم . فمثلاً متى بدأنا في

تحضير خطابه قد لا تفكر الا في ماهية موضوعنا وقيمته بيد أنه قبل القاء خطابنا لا بد أن يكون قد اندس فيه اعتبارات أخر تحدونا الى الرغبة في أن نحوز اعجاب الغير وأن نتجح فيما ندعوا اليه ومن المعقول والعدل أن نحب أن يحوى كل خطاب بعض هذه العناصر ويروى عن الامتاذ جويث (الفيلسوف الافلاطوني الشهير) (ولا أدري ان كان ما يروى حقاً أو باطلاً) أنه أسدى نصيحة الى انسان أن يجب عليه أثناء كتابته أن يقرأ ما يخطه بعناية ويحذف كل ما يحلوه وتظهر عليه مسحة الطلاوة فإذا طبقت ذلك على الخطابة العامة فلن نجد ضميماً. واذكر قصة فكاهية يرويها المستر برتارد شو عن رجل دُن ميانسا حاذقاً ولكن لم يضرب في الخطابة بسهم. فقد كان يستعيز عن قصه في مثوى الخطابة بمهارته الفائقة في لعب الكونسرتينا (آلة موسيقية يدوية ذات منفاخ) ولكي يجمع الجمهور حوله في منعطفات الازقة كان يلعب الكونسرتينا ومتى بدأ في الخطابة تناقص عدد سامعيه فلجأ الى موسيقاه فتتجمع الكفاة من جديد

وبهذه الخيلة كان يعالج اقناع سامعيه بدعائته وحججه وانه من المشروع بل من الضروري مع بعضنا أن يتخلل بعض خطاباتنا شيء من لعب الكونسرتينا اذا أسعدنا الحظ بمعرفة العزف على هذه الآلة.

أما من ناحية الاغراض العامة فأرى أن ثلاثة منها تؤيد المرشح للبرلمان أولها الرغبة في خدمة مصالح بلاده وثانيها الرغبة في خدمة مصالح حزبه معتقداً أن ذلك أكثر الاغراض العملية تحقيقاً للغرض السالف. وثالثها الرغبة في النجاح الشخصي الذي قد يكون وازعاً مشروعاً بل صالحاً لا تشوبه شائبة متى كان في حدود معينة اذ أن الرغبة في النجاح مع الرجل العادي (ولست أقصد النادر بين الرجل من ذوى المثل العليا) تسهل عليه مهمته كثيراً وتحدوه الى الاكثر من المجهود والاستفادة منه. بيد أن هذه الرغبة لها أخطارها اذ أن الغالب في آخر الامر أن لآراء الانسان في الحياة العامة لن يقررها صالح بلاده بل تستتبع رغبته في النجاح الشخصي. لذي يعتبر في البداية وازعاً صالحاً ومنشطاً للهم

في حين أنه ليس اسمى الأغراض ويجب أن لا يكون الاعتبار الغالب السائد
على غيره من الاعتبارات

وهناك قانون يختص بالعملة النقدية وهو أنه لو القيت العملتين الصالحة والفسادة
في سوق التعامل تغلبت الأولى على الثانية تغلبا تطرد به الأخرى وتميل البواعث
السفلى إلى التغلب على البواعث العليا في خلق الإنسان

إن الصيحة المألى التي تسدى للشباب وهو في مستقبل الحياة العامة إن يراقب
البواعث التي تدفعه للعمل وأن تكون هذه الرقابة دائمة دقيقة ولو عرفت كل
الأسرار المتعلقة بالحياة العامة لوجدنا في سجل أعمال الرجال الذين عالجوا الشؤون
العامة كثيرين ممن بدؤا حياتهم مدفوعين بعوامل سامية ثم اختتمت حياتهم
والدوافع التي تحفزهم للعمل ضئيلة وأكرر القول أنه يجب أن يكون الإنسان
أميناً ومخلصاً نحو الدوافع التي تحدوه للتفكير والعمل وهذا في رأي من أهم القواعد
التي يجب أن يسير عيها المرء في ممارسته للشؤون العامة وبالحرى في كل شؤون حياته
ونظمها ومنهاجها

ويروى أنه كان قديماً في بلاد اليونان سبعة حكماء عرفوا بسداد الرأي والهدى
وكان المأثور عن أحدهم قوله (اعرف نفسك)

وقد كنت أرى أنه نال شهرته بضمن بنس بيد أنى الآن موقن أن هناك عدد
عديد وحجافل من الناس لا يدرون شيئاً عن أنفسهم واعلم علم اليقين عن خبرة
وتجربة شخصيته أنه من أصعب الصفات على المرء أن يعرف نفسه وكما ازدادنا
معرفة باشخاصنا وكما ازدادنا جدارة لمعالجة الشؤون العامة . وكما كانت الدوافع
سامية ولها المكان الرفع في أنفسنا وتغلبت على كل وازع آخر . ازدادنا ثباتاً
بحيث لا ينحزحنا عن عقيدتنا افراط المدح أو افراط الذم من الغير مما يتعرض
له كل من عالج الشؤون العامة وكما ازداد هؤلاء الرجال معرفة بأنفسهم كلما قل احتمال
اكتئابهم وخور عزيمتهم تحت ضغط الافراط في الذم أو طيرانهم جذلاً اذا كل
لحم الغير المديح جذافاً

وهناك قصة في سردها نفع لكل من يتصدى للشؤون العامة فقد كان في الأزمان

الغابرة أن أمر أحد سلاطين عمان الصدر الأعظم أن يحفر على خاتم ذو قيمة كبيرة عند السلطان شعاراً يشد أزره وقت الشدة ويخفف من غلوائه وقت الرخاء. وباطبع كان من الضروري أن تقتضب هذه العبارة مع أدائها للغرضين . غير أن الوزير كان ماهراً فنصح السلطان أن يأمر بأن تحفر العبارة الآتية على الخاتم وهي (وذلك أيضاً مصيره الزوال) وليس المقصد من ذلك أن موقفنا قاصر على الانتظار والتأمل حتى يزول كل شيء ، بل معناه أننا مادمنا واثقين من مبادئنا ودوفعنا للعمل يجب أن نعمل على انجاحها ولا يجب أن نبتئس ونخور عزيمتنا متى وجدنا الأشياء والأمور لا تسير كما نشتهي وهذه الوجهة من التفكير التي يتضمنها هذا الشعار هي ما نشير به خاصة في الوقت الذي فيه لا تسير الأشياء حقاً حسب مرامنا ويجب أن يشجعنا ذلك على الثبات والمثابرة في السبيل الذي نخطه لأنفسنا مقتنعين بصحته . وفي الوقت الحاضر حيث تبدو أشياء كثيرة سائرة على غير هدى ولو أنه ليس في مقدورنا أن نصلحها كلها في وقت واحد ونسدد خطاها . إلا أنه متى اعتزمت البلاد على نصرته المبادئ التي تراها حقّة عادلة وإذا عبرت عن مشيئتها بلا لبس أو موارد ، فهناك شعوب أخرى قد تنظم تحت علم هذه المبادئ فتعتنقها وتشد أزرها .

ومن المسائل الأساسية عند غالبية الناس أن يفحصوا من آن لا آخر الدوافع التي تحفزهم للعمل . وهناك القليل الشاذ من ليس لهم كبير حاجة ماسة لذلك الامتحان . وهؤلاء ممن تألفت الامزجة النفسية والفعالية عندهم واعتدلت اعتدالاً موقفاً فعند هؤلاء تظل الدوافع خالصة لا تشوبها الاثارة ولا الاغراض دون مجهود محسوس . ولا أرى مثالا النصح طهرا وأتقى اخلاصا ووازعا أرقى مما الذي ضرب لنا الا يرل غراى وهو الذى القى هذه المحاضرة احياء لذكراه فلم يكن مجرداً من الاغتيباط الحقيقى بحسن سمعته وشيوع محبة الناس له ولم يكن عارياً عن شعور حق ونجار محمود بقيمة المراكز العامة السامية الا أنه لم يبدأ يعالج شأنها عاماً الا تملكته الحماسة لبلوغ المثل الاعلى بحيث لم يكن ليتيم لأى اعتبار وزنا سوى ما يتعلق ببلوغه الغرض الاسمى غير مبال بما يكلفه ذلك أو بما قد يعود على سمعته الشخصية

من أثر . ومن النادر أن نجد هذه الصفة متوافرة في رجل عام يمثل هذا القدر العظيم ، فقد كنت أختلف معه كثيراً على المسائل العامة وأصرح بأن بعض ماقلته لم يكن ليوافق عليه إذ لا يتأتى لك أن تجد رجلاً مسلياً مفكرين قادرين يتفقون جميعاً في كل نتائج تفكيرهم . وليس هناك من مقدمة أجدي لهذه المحاضرات من التفكير في حياته على أساس الدوافع التي حفزته للعمل . فقد كان دائم الاهتمام بالشئون العامة متحمساً للقيام بأعبائها بعيداً عن الاثارة . وكان اهتمامه ممزوجاً بحرارة اليقين خالصاً لوجه العقيدة بعيداً عن الجود والتعصب وقد قال عنه أحد عارفيه أنه أوقد نار الحماسة في أشد المواطنين برودة وجهوداً وهذا طراز من النفوس السامية التي نحن في عوز دائم لها في رجالنا العموميين وهذه النفس هي التي تجعل لهذه المحاضرات أثراً جديراً بها . وبهذه الروح حاولت أن أخطب فيكم اليوم لالتقيتكم شيئاً جديداً بل لنفكر معاً أين نحن الآن في وقتنا الحاضر وكيف نعالج بعض نقائص العصر الحاضر وما هي الروح التي نواجه بها المسائل الهامة وكنتي الأخيرة أنه في الأزمنة العصيبة التي نجتازها يجب أن تدبر بأقصى ما نستطيع من الحكمة والناة في هذه المسائل الشائكة التي تواجهنا في داخل بلادنا أو في الخارج نابذين الأوهام الفردية والوساوس ، ساعين بكل ما نملك من جهد في معالجتها بقدر قيمتها وخطورها غير متبعين الاستنتاجات العامة التي قد تنزلق إليها عقول الكافة ولا نشعر أنها صائبة جديدة بل يجب علينا أن لا ننجبن عن اعتناق كل ما نعتقد عدالة ورشاده بأذنين خير جهودنا لنقوم بقسطنا من تكوين رأى عام سوف يكون يقظاً مسدداً حياً مشبعاً بالروح السياسية العملية

هدم الأساس

الفاشستية المصرية — يولييه سنة ١٩٢٨ م .

آمنت بالنكبات فهي مواعظ
لتلقن الاحداث خير دروسها
وليدأب المتطاعنون بحريهم
لكن .. وحق العقل د خلوا سخركم
من كان هدام الاساس فما له
هل بعد أقسام الولاء وحنشكم
صونوا المبادئ للعقيدة أولا
فأنا الضنين بمسمى المذبذب
وهل الذي قد داس أس يقينه
هل ذاك من أصغى لشرح نفاقه
أفسدتم الفرقان (١) ثم زعمتمو
وطلبتمو الثقة التي من حقكم
لكن أليت - وقد عقلت - جنونى!
للفالب العائى وللعفتون!
والغابن المسرور كالمغبون!
بفهومنا بسخائف التبين!
مجهود إصلاح ورشد أمين
بجميعها تتشدقون بدين!
ثم استحلوا كل ما يغوينى
وبمهجتى للحر غير ضنين!
— لو كان يوماً مؤمناً بيقين —
أومن أقدر فضله كخوون?
هذا الفساد نهاية التزيين!
لجنونكم، لكن أليت جنونى!
(نصف ميانى)

(١) الدستور المصرى .

دكتاتورية الاقزام

في الميثولوجيا

مترجمة وتصرف عن الطائفة المازاريني الفرنسية

في آخر الاولمبيادة بعد المائة ، على حسب التقويم
الاغريقي القديم ، كان في مدينة آثينا عاصمة بلاد اليونان القديمة قوم من الاقزام
نشؤوا كما تنشأ الكمأة في رطوبة الليل ولبيل هوائه ، ولم يفتن اليهم أحد من
أهل آثينا ولا من حكامها أهل السطوة والجاه ، حتى كثر عددهم الى درجة تخيلوا
معها أن من مستطاعهم أن يحكموا بلاد أغريق القديمة وأن ينكثوا قتل نظاماتها
العريقة في الديمقراطية وأن يقيموا على أنقاض ما يهدمون دكتاتورية مطلقة الحكم
يدعونها دكتاتورية الاقزام

واجتمع الاقزام في ندوتهم العامة يتشاورون ويسرون نجواهم لعلهم يستطيعون
أن يمهّدوا السبيل ليصلوا الى غرضهم الاخير وهو تكوين حكومة استبدادية على
انتقاض الحكومة الديمقراطية القديمة التي وضع قواعدها الفيلسوف افلاطون في
جمهوريته وشرع لها سولون وعمل على تسميتها بركائز الكبير . وكيف يستطيع
هؤلاء الاقزام أن يهدموا ما أقامه عظماء اليونان وفلاسفتهم وأن يقوضوا أساس
ذلك البناء المشمخر ليفوزوا بتكوين دكتاتوريتهم ؟ وكيف يستطيعون أن
يقضوا على الصورة القديمة التي جرى عليها أهل يونان العتيقة في حكم أنفسهم
بانفسهم ، والتي نشأت مع نشأتهم الاولى اذ كانوا قبائل رحل حتى ابدنوا المدن
ونقلوا معهم الى أسوار هذه المدن المشيدة جرثومة الحرية التي متعوا بها في
حياتهم الاولى ؟

ولم يكن من بد لتقوم دكتاتورية الاقزام على أساس ثابت أن يكون لهم
قوة يستعينون بها على مغالبة أهل الاغريق ، يعززون بها أقليتهم الصغيرة ،

فويضربون بها على أيدي الذين يحاولون أن يعتدوا على دكتاتورية الاقزام إذا ما أعلن الاقزام دكتاتوريتهم

خيل للاقزام أن أهل يونان قد غرتهم المطامع وأعنتهم الاغراض وأفسدت حكومتهم فاسد النزعات التي يبدئها الطمع الاجتماعي في صدور الناس ؛ وإن أهل العقل من رجال آئيننا قد أنزوا في جنبات المدارس والاكاديميات ؛ يشتغلون بالفلسفة والعلم ؛ وإن كانوا ينقمون على شكل الحكومة ؛ فذلك لأن تسمم الجو بريح الاكثرية لم يفسح لهم مجال التعبير عن آرائهم القيمة في ما يقوم حولهم من حالات الاجتماع الاغريقي . لهذا وجب ان يقوم الاقزام بحركة انقلابية يفسحون بها لذوى العقول أن يعبروا عن آرائهم في جو بعيد عن تسلط الاكثرية الفاسدة النزعات المنحطة المدارك

ولكن كيف السبيل الى السلطة ؟ وكيف السبيل الى القوة ؟ وهم اقزام لا يستطيعون أن يدعوا الشعب الى الاخذ بناصرهم وأن يكون عوناً على تكوين حكومتهم الاستبدادية ؟

لجؤوا اضطراراً الى أحد آلهتهم وكان يسمى « قيفافوس » وابتهلوا اليه أن يمد اليهم يد المساعدة . وأن يأخذ بناصرهم فيما يحاولون من اصلاح لاهل اغريق القديمة . وكان قيفافوس بطبعه ميالاً للسلطة محباً للاستبداد ، فاخذ بناصرهم على ان يكون مرجع دكتاتوريتهم منه واليه ؛ وأن لا يبرموا أمراً أو يقضوا في شيء ؛ قبل أن يعرفوا أين تتجه ارادته ، وفي أي طريق تنمشى نزعاته . ولم يكن للاقزام الا أن يقبلوا أن تكون الدكتاتورية لهم اسماً ، ولقيفافوس فعلاً

ولما أن تم الاتفاق بين قيفافوس وقومه ، وهم في رأس جبل بعيد عن جلبة الحياة الاغريقية ؛ أعلن الاقزام تلك الدكتاتورية التي اخضعت أهل الاغريق لسلطتها المطلقة زوراً ووهماً . وبينما كان الاقزام يتشاورون فيما يفعلون باهل الاغريق وما يشترعون لهم من قوانين ؛ علمت جلبة من ناحية السهل ؛ واذا بجيش آئيننا الذي كان يحارب اكرزسير عائداً الى بلاده يحمل ثمرات الفخر والانتصار وفي مقدمته رهط من الفرسان على ظهير جيادهم المطهمة ؛ قد دهم الاقزام ففراهم

بالسنايك وفر قيفاوس الى اولمبيه الصغير ، ومر جيش آئينا من غير أن يدرك
للاقزام وجوداً ولا شعر لهم بحياة

وهكذا تكونت لأول مرة في التاريخ القديم دكتاتورية تحت ستار الليل ،
وتحت ستار الليل حطمتها أقدام آئينا . نعم تكونت دكتاتورية ، ولكنها
كانت دكتاتورية الاقزام

مترجمة طبق الاصل

جبريل مازارين

الثقافة والاخلاق

من خطاب للمستر اسكويث القاء في جامعه ابردين بمناسبة انتخابه عميداً لها - وقد توفي حديثاً بعد ان حاز لقب لورد ، وهو من اكبر رجال السياسة الانجليز الذين عاشوا في العصر الحاضر

أشار المحاضر في مستهل خطابه الى تاريخ الوظيفة السامية التي انتخب لها ، وذكر ارتباط تاريخها بالزمن الذي كانت تسيطر فيه الكنيسة والامبراطورية الرومانية ، ولو نظرياً ، على مصائر العالم الغربي الروحية والزمنية ، وان ثلاثاً من كليات اسكتلندا الاربع يرجع تاريخ انشائها الى ارادة بابوية ، وقد أسست أحدثها وهي جامعة ابردين سنة ١٤٩٤ بارادة من البابا اسكندر السادس . وكان تأسيسها آخر فضل لبابوات روما على التعليم في الجزر البريطانية ، اذ بعد ذلك بنصف قرن سرى تيار الحركتين المتفجرتين ، وهما حركتا إحياء العلوم والاصلاح الديني اللتان قضتا على وحدة اوربا الروحية والكنسية في انجلترا واسكتلندا . ولا يغيب عن البال ان العالم فيهما مدين للعظماء من رجال الكنيسة في القرون الوسطى ، وان مؤسس جامعة ابردين الحقيقي هو الاسقف الفنستون . ثم أتى بفدلكة من تاريخ التعليم العالي في غربي اوربا وخاصة في انجلترا فقال

لما نفكر في سبل انتشار التعليم المنظم في غرب اوربا وفي بريطانيا العظمى على الوجه الاخص ندهش من الحقيقة التي تبدو لنا في أول وهلة وهو ان التعليم العالي نشأ في البداية . فقد كان منشأ التعليم النظامي في الجامعات ثم أسست في انجلترا المدارس العالية التي تؤهل الطلاب للجامعات وهي ما يسمى المدارس العام (Puplic schools) ومدارس الآداب وهي وسط بين الأخيرة والجامعات وهي ما تطلق عليه اسم (Grammer School) ثم مدارس القرى ، ولا يجب أن تسوقنا ظواهر الامور الى استنتاجات خاطئة . فلم تكن الجامعة في القرون الوسطى معهداً خاصاً للخاصة ثقفل أبوابه دون الكفاة بل بالعكس - كما أبنت منذ بضع سنين حين كنت اخاطب زملاءكم الذين انتخبوني لمثل هذه الوظيفة في

جلاسجو — فإن طلاب جامعات القرون الوسطى سواء أكانت جامعات باريس أو بولونيا (في إيطاليا) أو أكسفورد كانوا خليطاً من كل الاجناس والطبقات. وفي بعض المظاهر — كما في نظام العمدية ، حيث ينتخب الطلبة عميدهم — كانت ديمقراطية الصبغة ، وكان يؤمها الطلبة من كافة الطبقات وعلى الاخص أبناء الطبقات الوضيعة المعسرة وكان التعليم الجامعي ، اذ ذاك هو التمهيد الذي لا بد منه لممارسة المهن العامة كالقانون وعلوم الطب واللاهوت ، هذا ما عدا القليل ممن يسعون لتحصيل العلم للعلم ذاته ، وهم في كل مواطن العلم وبيئاته أقلية داخل أقلية

ومرت الدهور وطفئ تيار حركة أحياء العلوم على عصر الفروسية فتبين القوم أن الصفات الذهنية التي نسميها الآن الثقافة (بمدلولها المدرسي اذ ذاك) هي العدة الواجبة والحلية التي لا بد منها لكل انسان مهذب (جنتلمان) . وقد كان سير هذه الحركة أبطأ حقاً في هذه الجزر مما كان عليه في بقية أوروبا ، فقد نبذ بزور هذا الغرس كل من مور وكوات وليناكر ومعلمهم وصديقهم ايراسموس الذي لم يؤت ثمره الا حين تبوأ على عرش انجلترا اليصابات العظيمة ومضى على ذلك عشرون سنة . فقد برزت هذه الملكة تعليماً ومهذباً كل الرؤوس المتوجة فكانت تتقن على الاقل خمس لغات أجنبية الفرنسية والالمانية والايطالية عدا اليونانية واللاتين . ومع ما بلغه التعليم النسائي في زماننا ، فهل هو يدلنا على مثل أظير وأسمى من مظهر هذه الملكة لاقتران العلم بالكفاية

ثم اعتبرت الثقافة كما أسلفت شطراً من العدة الاجتماعية والشخصية لاولاد الطبقة العليا والموسرين كالأداب العامة وحسن المندام وبارزاد سبل التخصص كانت السبيل المطروقة للبروز في المهن اللاهوتية والمهن التي تتطلب سمعة في العلم

بيد أن الفكرة الحديثة وهي أن التعليم للرجل العادي هو جزء من ميراثه الطبيعي وشرط أساسي لكي يكون نافعا لقومه وعنصر يمكن أن يمتزج دون أي

خطر بالعمل اليدوى الرتيب ومباهج الاعمال المنزلية العادية . هذه الفكرة لم تكن لتعتبر الا كتناقض خطير

ومنذ قرن من الزمن صرح أحد أعلام كنيسة هذه البلاد ان لا شأن لاي شعب بقوانين بلاده الا أن يطيعها . وبهذه الروح ومن وجهة هذه النظرية كان يتوقع من جمهور السكافة أن يتركوا الآداب الراقية الى من هم أرقى منهم في السلم الاجتماعى في حين أن انتشار التنوير الفكرى وايقاظ الاحساس بالشعور الاجتماعى وواجب الفرد نحو الجماعة وهذه نحو الفرد ، ثم قيام الديمقراطية ، كل ذلك أدى دون عنف وبرضى الجماعة الى التحول الذى فلق في ثورته كل تحول آخر وهو النظام التومى للتعليم الاجبارى . الحرق قد حقق القول التهمى الشهير المأثور عن المستر « لو » وهو أنه يجب علينا أن نبدأ « بتعليم سادتنا » في ميدان العمل . وقد أصبح الكل يعلم بان المثل الاعلى على كل حال — — ولو أن هناك استثناءات تعترض السير العملى على الوجه الاكمل — هو أنه ان يبدأ طفل في معاركة الدهر ما لم نعدله عدته من مفاتيح العلوم ، وانه لن تحول عوائق الظروف أو الحظ المادى دون تقدم أى طفل وهبته الطبيعة الذكاء والطموح في ميادين العلم في أى مرحلة من مراحلها حتى يصل الى السبل الداخلية في قصر المعرفة المنيف

ولست هنا في معرض الاسهاب — كما كنت اود في مزايا وتقائص (اذ لابد ان يكون بجانب المزايا تقائص) التعليم العام . اذ الانسب عرض بعض آراء عامة ولو انها غير محبوبة الاطراف على المساوىء التى تبدو في زماننا هذا . واذ كر قبل كل شىء الميل المتزايد نحو التخصص . وقد أصبح من مميزات التعليم الجامعى خلال نصف القرن الاخير وقد أصبح أكثر شيوعا ان يوقف الطالب وقته وجهوده كلها او أكثرها على تحصيل فرع او مجموعة من العلوم ويقنع من البقية باقل مايتفق تحصيله ومطالب التعليم العالى وهذا راجع أكثره لازدياد الدقة والتبحر في تحصيل كل علم وتدرسه ولا تساع ميدان البحث في مختلف العلوم النظرى منها والتجربى واسمى مستوى المعارف الذى وصلنا اليه بحق — كل

ذلك يدعو الى الاعتباط الصحيح مادام يحدوا بنا الى ازدياد التعمق في العلوم ودقة البحث والابتعاد عما هو سطحي لا يتنع به الا الهواة بيد ان هذه المزايا تكون قد حصلنا عليها بضمن فاحش لو ضحينا في سبيلها سعة الافق العلمى ونوجيه الاهتمام الى دائرة المعارف العامة . فادعاء المعرفة الواسعة على كل حال اقل اذى من التخصص الضيق وحصر همومنا العقلية في افق غير رحب . وان الجامعة التي تحصر جهودها وتقنع بان تقوم بمهمة معمل لتخريج الاختصاصيين فحسب . قد غاب عنها وفاتها تحقيق واجب من اسس وظائفها الاضطلاع به ولا يتاح إلا المدع دجال ان يتخذ كل ميدان المعرفة دائرة لبحثه ودرسه ولو بحث فرانسيس بيكون (وهو من اسس البشر ذكاء وادراكا) لو جدد ان مطامحه العلمية الشاملة ، ومداركه التي وسعت دائرة كل علم يستحيل تحقيقها في ظروف الحياة الحديثة على ابعد الاحلام مدى . وان الرجل المهذب الذي هو ثمرة غرسكم يجب ان يكون على حد قول بيكون « رجلا كاملا » وقد وصف فكتور هوجو العبقرية بلفته الرائعة الفخمة . كالصخرة الممتدة نحو اللانهاية فهي تسمو على كل قاعدة وينتلاشى امامها كل اعتبار يتعلق بالبيئة والوارثة بيد انه اذا تركنا العبقرية جانبا فالمثل الاعلى القديم للتعليم الجامعى وهو تخريج الرجل الكامل ولا نقتصد به الرجل الشقياق ذو اللياقة السطحية الجوفاء ممن يلمون بشيء عن كل شيء وبالكثير عما هو لا شيء ، بل الرجل الذى لم يضح من اجل هم قاهر وفكرة تملكته . ومطمح ارض له كل سعيه ، حاسته لتذوق شتى العلوم وتوسيع مداركه العقلية والتطلع للامام بالمعارف العامة وسعيه الحثيث نحو معرفة خير ما اخرجته الاقلام وثمار الافهام للناس حق المعرفة مما زادنا معرفته وزاد في حياتنا قيمة ونفاسة وفوق ذلك لو سلمنا انه لا استكمال لثقافة الذهنية وحيوتها لا بد من سعة في الادراك ، فمما لا يقل عن ذلك شأنًا ، حقيقة انه يجب أن يتوفر في مظهرها الخارجى وفي نمط التعبير عنها ، صفات هي الدقة والتناسب والتآلف . تلك الصفات جماعها ما نمنعه « بالاسلوب » ففي كل المنتجات الفنية تتوفر ثلاثة عوامل — الموضوع والشكل الذى نعرض به هذا الموضوع والاداة التي ننقل بها ما يعن لنا عرضه . وفي كل من فنون التصوير والنحت والعمارة والموسيقى تتحكم الاداة الخاصة

بالتعبير في اختيار الموضوع وتحدد منه ، . ومتى توفر لدينا موضوع مناسب واداة
صالحة ففوة الفنان على الخلق والتصوير هي التي تميز قيمة ما ينتجه . وفي هذا
ينحصر مقياس العبقرية — متى كنا في معرض التكلم عن الفن فهذه حقائق
قد تبدو ظاهرة جليلة مبتذلة . ومن المستغرب حقا قلة عناية المستعملين تعلميا عاليا
من القوم بالقالب والاسلوب في ايراد الحقائق العادية في كتاباتهم وكلامهم .

وان كثيرا من اللغو والكلام المفكك الذي نجبر على قراءته كل يوم
او الانصات اليه هو وليد التقاعد والتكلم وعدم السداد في الرأي . فاذا استغرق
انسان بما هو ساعة في بسط ما يمكن أن يؤتى خيرا منه في عشرين دقيقة ، بما يمثله
أو عندما يسود كاتب عشرين صحيفة بما يسهل ايراده في نصف ذلك ؛ فالتذنب
في غالب الأمر ليس يرجع إلى الزهو أو قلة المبالاة والعناية بشعور الغير ، بقدر
ما هو وليد العجز او عدم الميل لكد الفكر للوصول إلى الاتقان . وكما أن العالم
القليل التمييز يسارع إلى الخطأ في اعتبار قوة الالتقاء ثباتا في الخلق ؛ كذلك يميل
ميلا لا يردده عنه شيء ولا ترحز ح عقيدته فيه ؛ إلى تصور أنه لا يكون الكاتب
كاتباً ولا الخطيب مفوها ما لم يركب مركب الشطط في العبارة . وأرى . أنه
من أوجب واجبات الجامعة الحققة بث تقدير الاسلوب والعمل على غرس
الاساليب الصحيحة . وإن أقول شيئا عن الشعر الذي قد يعد بين الفنون
بيد أن ليس هناك فن من فنون الكتابة او القول لا نعثر له في لغتنا على امثلة
ونماذج ذات وفرة في الغنى والتنوع وكل من تتوق نفسه الى اتقان اللغة وإجادة
الكتابة والخطابة بها عليه بقراءة كبار المؤلفين وليس ذلك بقصد الاثراء في
مادة اللغة نفسها فحسب . وللتقليد الطابع الخاص في الكتابة او الاسلوب الفريد
والنبرة العالية .

بل لدرس سر الموسيقى التي تسرى في طبقات كتاباتهم ولتفهم كيف ان
اللغة اصبحت في ايديهم مرآة جليلة ناصقة لا فكارهم . واتقان العملية الدقيقة التي
بها يصوغ هؤلاء الصواع المهره الكلمات ويسبكون الجمل ومقاطع الكلام ودرسها
عن كشب وعن فهم . ووضع كل من هذه في المكان اللائق لتقوم بوظيفتها في بناء

هيكل خالد من القول الجزل

وفيق ذلك فليس بكاف ان تلقن الجامعة طلبتها ان تنبذ الجود والتخرج
وضيق افق المطالب العقلية والاهمال وعدم الرغبة في اتقان القول والكتابة ويجب
ان تحذروهم من روح التعصب المذهبي

ولا يمكننا ان نقالي دون مذاهب وما هي الا التعبير المقرر الدقيق لما نعتقد
صحته ولو انه احيانا يحد من استعمال مدلولها بحيث لا يشمل الا ميدان اللاهوت
والزيادات (التي ينعتها البعض بالخواشي الطفيلية واللبس الآخر بالتفسيرات) التي
وشى بها رجال المدرسة القديمة اللاهوتية ودكاثرتها ثوب الانجيل البسيط الغير
المزركش . الا ان للعلم والفلسفة مذاهبها . واذا قيل ان ما يميز « المذهب » عن
المعتقدات الاخرى هو ان العقل يقبله لاعن ثقة آتية من طريق العقل بل من
طريق السلطة او التحكم . فمثل هذا القول يطبق على بعض المقولات التي تكون
اساس العقيدة او الخلق العملي في دائرة من دوائر التفكير او الحياة العملية . بيد
ان هناك فرق بين الرضى العقلي بمذهب او سلسلة مذاهب وبين التفكير الذي
تحركه الروح المذهبية ويؤثر عن نسج (الفيلسوف الالماني) القول المتداول وهو ان
لو خيره الخالق بين أن يهبه معرفة الحقيقة كلها او الوازع للبحث عنها ل اشار
بكل احترام إلى اختيار العرض الأخير كنعمة أثنى واقوم من الأولى وهذا حقا
الاتجاه الذي يجب أن تكون غاية التعليم تيسير الوصول اليه وان سماحة العقل والكفاح هو
ضد الاوهام الفاشية واخضاع شوكتها وجعل سبل الادراك حرة المسالك والسعى
واجهاد النفس ليكون ميزان الحكم على الاشياء ميزان حق وعدل والترحيب
بالحقائق الجديدة متى وثقنا بقيمتها واستحقت تقديرنا

رغم تقويضها لأسس العقائد القديمة المستأصلة في نفوسنا — كل هذه
الصفات ولو كانت مألوفة متداولة وقد يدل ظاهرها ان في مقدور كل انسان الوصول
اليها والتحلي بها الا أن التجربة والخبرة اسفرتا عن انها في نفس الانسان
اندر صفاته .

وان المزاج الفكري الذي احاول بيانه ليس بالعرلة الفكرية او عدم المبالاة

وليس هو شل قوة الحكم الذي قد ينتاب البعض في فترات فيتعلمون عن الاختيار بين التضايي الباطلة والتضايي الحقمة بل يستلزم على النقيض من ذلك حياة فكرية نشيطة فتيه محصنة ضد مغالطات الاسواق والمتندييات العامة وهؤلاء السلبيين ساكني الكهوف

حياة تحفزها الارادة نحو العقيدة والعمل تعيش تحت هواء العقل المنعش وفي ضوء الحقيقة الناصع

ونصيحة أخيرة أسديها كخريج جامعة قديمة لم تنسه حياة غير خالية من الكفاح والجلاد حياة أهمها في الاعمال العامة مداومة الاتصال بروح جامعة اكسفورد والمثل العليا التي أخرجتها للناس وهي انه لكي تقطع المرحلة التي اختصتنا بها الاقدار طويلة كانت أو قصيرة بحكمة وسداد . وجب علينا أن لا نسرف في انفاقها بل نتدبر ونعتدل ونقتروندخر ما لا سبيل لعودته وما هو الآن في قبضة يد الجميع

وكما كانت حياتكم حياة جد ونشاط كلما كان احتياجكم الى الاعتراف من هذا الخزان الذي يؤاتيك عن طواعية

ولتحرصوا دائما مهما كان سبيلكم في الحياة على أخير وأبقى هبة في مقدور الجامعة أن تهيبكم وهي صحبة الآراء السامية والهام المثل العليا ومثال الاعمال العظيمة وسوى الفشل في الوصول الى الاغراض الكبيرة

وهي كانت هذه عدتكم كان في مقدوركم أن تواجهوا صدمات الدهر وتقلبات الحظ دون تزعزع وكل ما تأتي به الايام من الالغاز وليس هناك اجدى لكم من اتخاذ الشعار المنقوش على أبواب جامعتكم « لقد قالوا — ما الذي يقولونه — دعهم يقولون — »

تأملات في الأدب والحياة

يقول طاشور « عند حلول الكوارث تنحل أقدم الروابط . فالأخ
محطم أخاه والصديق يخون الصديق » . ولا أجد أن هذه الكلمة الكبيرة
أكثر انطباقاً على شيء من حالات هذه الدنيا أكثر من انطباقها على رجال
السياسة . فهي في مصر ظاهرة مألوفة .

حلت بمصر الكارثة الأخيرة . كارثة تعطيل الحياة النيابية ، ولا ندري
إلى أي حد ، فإن ذلك موكول بالظروف ، وليس خاضعاً لإرادة رئيس
الوزارة ولا بغيره من رجال الدولة ، كبر شأنه أم صغر . ولم تكده تظهر
بوارد هذه الحالة في الأفق السياسي ، ولم يكده يفتح في سماء الأمل منفذ نور
لأصحاب المعالي ، حتى ولجّه جمع منهم — ثم أخذوا يسددون منه نبال
النقمة والانتقام إلى أقدية إخوانهم الذين تضامنوا معهم بالأمس .

وليت الأمر وقف عند هذا الحد . بل تعداه إلى قواعد ومبادئ
مقدسة لأعلاقة لها بأفنية الذين رموهم هؤلاء بنبالهم وسددوا إليهم سهامهم .
ولكن ما دام النحاس رئيس الأغلبية ولا أغلبية إلا بالدستور فلتوجه
النبال إذن إلى قلب الدستور كما توجه إلى قلب النحاس وأصحابه . فإذا ساءلت
نفسك أية علاقه بين الأكثرية وتصرفها وبين الدستور ، وما هي علاقه
الانتقام من النحاس بقتل الدستور ، وما هي الرابطة بين ضرب الأغلبية وبين
الحق العام الذي يملكه أصغر طفل في أصغر قرية كما يملكه أكبر صاحب
دولة من أصحاب دولتنا ، لما استطعت أن تقع على جواب ظاهر الأهم إلا
أن تلجأ في تفسير ذلك إلى الاعتقاد بأننا في مصر بل وفي الشرق عموماً — لم
نستطع أن نفرق بين المبادئ والذوات ، فالدستور ملمعون لأن صاحب
الأغلبية في مجلسه هو النحاس . ولكن ماذا يكون من أمر الدستور إذا
أصبح صاحب الأغلبية في مجلسه هو صاحب الدولة محمد محمود ؟ لا جرم

يكون أكبر نعمة وآخر ما تجرد به التنظيم على الحضارة المصرية من البركات بل يكون أجل حلة تتلخع على الشعب المصرى الذى عراه الاستبداد عما يستر جسمه الضئيل من الحقوق التى انتزفت بها للعبيد والهمج ، وترك غرضاً ترميه الالسن بأمر السكام ، كما تحدج العيون باخبت ما تستطيع أن توجه من نظرات الاحتقار .

أولا يكون اصلاح الا اذا أظهرنا أهل الدنيا والآخرة على أن الشعب المصرى لا يستحق الحرية ولا يعرف لها طعماً ؟ أولا يكون اقرار للحقوق الا بان يسلب الشعب من حقه الطبيعى ؟ أولا يكون من انقلاب الا اذا ظهرنا المرغمين عليه المسوقين اليه ؟ أولا يكون لنا من طريق الى التنفيذ الا تلك الطريق الملتوية المتعسرة التى نمحفر فيها الاتفاق ونذهب فيها خفية متسلمين تحت الثرى كما تفعل الحشرات الدنيا ؟

على الوزارة القائمة اليوم أن ترضى ثلاث نخبات معينة لا نستطيع أن نعتقد ساعة واحدة أن فى استطاعتها أن تجمع بين ارضائها . عليها أن ترضى أولا الشعب المصرى وأن تمنيه بمختلف الامانى . فتقطع ارض الحكومة تثرى بها فقراؤ وتغمره بالماء تفرق به اراضيه . ولا ندرى ما علاقة هذه الاشياء بحق الامة فى الحرية . فان الارض لا تحرر الشعوب والماء لا يتمتعهم بحقوقهم المقدسة فى الحياة . وعليها ثانيا أن ترضى جلالة الملك باعتباره رئيس الدولة ومرجع السلطات جميعاً فى نظامها الذى اختارته ليكون نظام الدولة ثلاث سنوات قابلة للتجديد . وعليها أن ترضى قصر الدوبارة ، وما أدراك ما التخلفات الاربعة . اما نحن فنقول :

أيها المنكح الثرى سهلاً عمرك الله كيف يلتقيان
فإنها شامية اذا ما استقلت وسهيل اذا ما استقل يمانى

لا أستطيع أن أدرك أن حسن القوامه على الحكيم قد يتأى بغير نظامين .

فاما نظام نيابي تتسع فيه الحريات بقدر ما يستطيع ، وأما نظام دكتاتورى تنحصر فيه الساطة فى يد شخص واحد . وليس بين هذين النظامين فراغ يمكن أن يسده نظام ثالث . ففى كلا النظامين الدستورى والدكتاتورى تتوحد الاضرار كما تتوحد المنافع . ويحصر الخطأ كما يحصر الصواب . أما فى النظام الثالث ، وهو نظام لا بد من أن تتضارب فيه النزعات وتختلف فيه الاهواء على مقتضى ما تتجزأ السلطة وتتشعب وجهات النظر ، فلا يمكن أن تحدد فيه المنافع والمضار ولا يمكن أن يحصر الخطأ والصواب . ومن الاسف أننا محكم اليوم وفى مصر ، وفى القرن العشرين ، بمقتضى النظام الثالث . فلدينا ثلاث سلطات متضاربة الاهواء لا يمكن التوفيق بين وجهات نظرها ، الا بان يكون التوفيق على رأس فتیان القرى . وما على أهل القرى الا أحد اخرين فاما أن يخضعوا وأما أن تسليخ جلودهم .

من أغرب الصدف أن مصر بدأت تشعر شعوراً عميقاً بحاجتها الى الحكم الدستورى منذ سنة ١٩٠٨ عند ما اعلن الدستور العثمانى . فان أهل مصر وزعماءها كانوا يعتقدون أن الشعب المصرى أكثر كفاية من الأتراك وانه أقدر منهم على ادارة الشؤون . والآن بعد أن تمتعت مصر بهذا الحكم وذات حلوه ومره ، يتعطل فيها الدستور ليقوم فى بلاد الحجاز وبين اعراب البادية ، بينما ترفع تركيا رأسها تباهى الامم بان لها دكتاتوراً يحكمها حكماً « دستورياً » . ويقف أمام مجلسها نيابى اثنى عشر يوماً متوالية ليلقى خطبة واحدة ليس له من غرض فى القائها الا أن يبرر للشعب التركى أعماله ويقدم له كشف الحساب

يحتفى دكتاتوران فى أوروبا هما موسولينى وبريمو ده ريفيرا بالدستور ويستظلان بمجالس النيابة . أما صاحب الدولة محمد محمود باشا ، الدكتاتور الأول فى أرض الفراغنة ، ففى غير حاجة الى الاستظلال بشيء من ذلك

فهو يترك نفسه معرضاً لحرارة الشمس تلفح وجهه ، ولمهب الريح يتقاذفه .
فأكرم بها من شجاعة فات فيها رئيس دولتنا رئيس دولة إيطاليا ، وطاغية
اسبانيا معاً .



محكمة النفس العليا هي الضمير . وعلى أساس هذه المحكمة قام مذهب
الفيلسوف الكبير عمانوئيل كانت في الاخلاق .

حاسب ضميرك دائماً واسأله في هواده ولين — « هل يصح أن يكون
تصرفك الاخلاقي في مسألة من المسائل قانوناً تجرى عليه الانسانية » — هذا
هولب مذهب كانت في الاخلاق . ولا شبهة مطلقاً في أن لهذا القانون
علاقة كبيرة بمذهب ايزوقراط اليوناني اذ يقول — « اصنع بغيرك ما
تريد أنه يصنع غيرك بك »

ومحكمة الضمير معقودة دائماً ، ليل نهار ، سرّاً وعلانية . فهل تؤثر
ظروف الحالات التي تقوم في الافق الاجتماعي على هذه المحكمة ؟ وهل
تتبع هذه المحكمة شرعة من شرائع الآداب العليا من غير ان يكون أمامها
مبدأ تأتم به ؟ كلا . ان المبدأ هو المهتدي الوحيد الذي يهتدي به هذه
المحكمة في ظلمات ما يحف بها من مظاهر الاشياء الانسانية .

سمعت ! بأن ستة آلاف من الجنيهات كانت كافية لأن يشتري بها
« ضمير » جريدة من الجرائد الكبرى . وسمعت أن ابتسامة حلوة
وقليلاً من الذهب كان كافياً لأن ينقذ جيش الاسكندر الروسي من
احاطة عسكر الأتراك . وسمعت أيضاً أن قليلاً من أبهة الملك والسلطان
كانت كافية لأن تغري ملوكاً بالاستبداد وأن تلقى بوزراء في أحضان
العسف والجور ينثوون به على كواهل الامم .

ولا جرم أن كل هؤلاء شرع أمام محكمة « الضمير » فلو ساء
أحد من هؤلاء نفسه يوماً « هل يصح أن يكون تصرفه قاعدة
للانسانية تجرى علينا » — إذن لرجع عن غيه وانصرف عن ما أقدم

عليه . ذلك لانه اذا ساءل نفسه على هذا النمط أدرك لأول وهلة ان هذا القانون يجوز أن يطبق عليه من الغير كما يطبقه هو على نفسه . إذن يكون الجواب أن خيانة محكمة الضمير اضرار بالانسانية وبالأفراد : واذن نعتقد ان محكمة الضمير لا بد لها من قانون او مبدأ يسير احكامها في كل ظرف من الظروف .

اذا ساءل مستبد ضميره — « هل يصح أن يكون الاستبداد قانون الاخلاق الانساني » — واذا ساءل مرتش نفسه « هل تصح الرشوة أن تكون مبدأ المعاملة » — واذا ساءل سفاح ضميره « هل يصح أن يكون القتل صبغة الحيوان الناطق ، واذا ساءل كل الاراذل أنفسهم هل يصح أن تكون رذائلهم قاعدة مجرى عليها المجتمع ، اذن خلصت الانسانية من الشرور والآثام — وإذن لعرف المستبد ان الاستبداد جائز أن ينقلب عليه في نفس الصورة التي يطبقه بها على بقية الناس . واذن ينتفى أن يكون الظالم مظلوما اذا ظلمه غيره ، وينتفى أن يكون السارق مسلوبا اذا سلبه غيره .

وهكذا دواليك . ضع نصب عينيك دائما فكرة انك فرد من أفراد الانسانية مهما علت رتبتك وكبر جاهك . اذكر في أعماق نفسك دائما قول ايزوقراط — « اصنع بغيرك ما تريد أن يصنع غيرك بك »

فيابونسي

مبادئ الفلسفة الحديثة

٣ - الفلسفة والحياة

٤ - الفرد والمحيط

الفرد الانساني كما رأينا من قبل مخوف بمحيط يتطلب منه بعض مسؤوليات يجب عليه القيام باعبائها اذا قدر له أن يعيش . أما مادة المحيط اتساعاته ، وكذلك تكوينه واغلاله ، خفائق جافة ملموسة لا تعرف هوادة بما تتطلب من حاجات . وكذلك العادات التي تنشأ فيه وتقاليده ، واستعمالاته لادبية والدينية ، ومعتقداته الالزامية ، يجب أن يعترف بها وان يسلم بديا وجودها . غير أن الفرد ، من جانبه الشخصي ، له منافع ومصالح خاصة به . ان الفرد ليس ذلك الكائن السلبى الصرف فيما يتعلق بمحيطة الذى يحويه . نه مركز ايجابى عملى له حاجاته ورغباته ، التي تقوم بجانبها ارادة تسد اطماعه ن هذه الحاجات والرغبات . وله فوق ذلك قدرة على الاتفاف بمحيطة ، وأن سبه فى قالب مايساعده على الوصول إلى غايته .

وليس الفرد بالعوبة تتقاذفها القوات الطبيعية والاجتماعية ، كلا . فان مرد تأثيراً عاكساً فى هذه القوات يتحدد إلى درجة ما يقتضى طبيعته . أما صور التي يتحيز فيها التأثير العكسى للأفراد فى محيطهم فكثيرة . وليس ن شأننا فى هذا الموطن أن نعدد هذه الصور بالتفصيل . غير اننا لانهمل كر ثلاثة منها لها شأن خاص فى دراستنا هذه .

(١) - التأثير الاجتماعى

اول ما يتبادر إلى اذهاننا أن تأثير الانسان فى محيطه انما يكون بديا ن طريق احساساته واتصالاته لذة وألماً . فان الفرد الانسانى قد فطر

وكون على أن يشعر بلذة أو ألم ، وكذلك فهو يعمل دائماً على أن يحصل على احدهما ويتجنب الآخر . وبهذا يؤثر تأثيراً عاكساً في محيطه بان يمضى باحثاً وراء الاشياء التي يبتذنها ، ويتنكب كل الاشياء التي يتألم منها . وفي الظاهر أنه يشاطر في هذا الفعل كل صور الاحياء الحيوانية . ويلوح لنا أن هذه القاعدة تجري على أبسط صور الحياة ، كما تجري على ارقاها تركيباً واسماها بناء . ولا خفاء في أن هذه الظاهرة من اكبر الظاهرات التي تؤثر بها الاحياء في محيطها الذي يحف بها .

(٢) — التأثير الاتفعالي

أما الصورة الثانية من صور التأثير الفردي فندعوها بالصورة الاتفعالية . أما اذا حاولنا أن نعلل أوجه هذا الضرب من التأثير العاكس ، فإن ذلك يجبرنا الى الكلام في نظريات كثيرة واعتبارات شتى ، تجبرنا حتما الى ميدان تتسع حدوده لأبعد مما يجب أن نحدد به بحثنا في المبادئ الأولية ، كما نريد أن نعمل في هذه الابحاث .

ويكفي أن نعرف هنا أن صور التأثير الاتفعالي متشابكة متخالطة ، اذ تتضمن الاحساسات التي أشرت اليها سابقاً ، مضافا اليها كثيراً من المؤثرات العضوية العاكسة ، وقدر كبير من النشاط العقلي . والامثال على هذه الصور كثيرة لا تحصى . فالخوف والغضب والحب والبغض والحزن والاشتقاق والتسلية والعبادة كل هذه أمثال تضرب على التأثير الاتفعالي .

على أن هذا التأثير — الاتفعالي — بفضل ماله من أوجه التشابك والاختلاط لا يكون الا في العضويات العليا التي تمتاز بجهاز عصبي فيه رقي فزيولوجي يدل عليه اختلاطه وتشابك اطرافه . اما الجزء الذي يبلغ اليه هذا التأثير من حيث الانتشار في صور العضويات فسؤال لا يجب ان يعنت شخص نفسه في الجواب عليه . لانك اذا قلت بان اميباً حية في حالة حب او غضب او خوف كان هذا مجازاً لا معنى له .

(٣) - التأثير العقلي العاكس

اما ثالث صورة من صور التأثير الخاص بالذوات الانسانية فتأثير العقل
تأثيراً عاكساً . ويتكون هذا الفعل العاكس في جوهره في تحديد المشاكل
التي تصادف الانسان في محيطه الذي يعيش فيه ، وفي العمل على الوصول الى
حل لها . ومن طريق قدرته العقلية يستقرىء الانسان ما يستطيع ان يستقرىء
من معانى الاشياء المحيطة به وطبائعها ، ويسمّيها باسماء خاصة ، وبذلك يكون
لفظه ، ويزن قيمة الاشياء ، ويحدد علاقة الاشياء ، او مراکزها المكانية
بالنسبة بعضها لبعض . اما الزمان الذي بدأت فيه القدرة الانسانية على ان
يكون لها أثر في حياة الانسان ، فليس هذا موطن الاقضية فيه ، وان كان
من موضوعنا هذا في اسمى اعتبار : ويكفي هنا ان تقول ان بدايات القوة
العاقلة في الانسان قد تعثر عليها فيما نسميه بالغريزة الحيوانية . وهى تسمية
لا ينقصها الكثير من الغموض والابهام . وكما انه من الجائز ان تكون القوة
العاقلة صورة من صور الغريزة ، كذلك يجوز ان تكون مستمدة من ناحية
اخرى . ومهما يكن من أمر هذه القوة الغريبة ، فان فعلها العاكس وقف
على الفرد الانسانى وحده دون بقية المخلوقات . ويكفي ان تعرف هذا وحده
في درسنا هذا .



النقد والتأليف

الجمعية التعاونية ونظامها في مصر

لتوفيق حامد المرعشلي

أكاد أجزم بأن هذا الكتاب هو خير الكتب التي وضعت في التعاون فهو مختصر وواف، بسط المؤلف فيه زبدة ما وعته ذاكرته من الموضوع ولم يقف عند هذا الحد بل اتحف قارئه بملخص في علم الاجتماع وكيفية نشوء الجماعات وتكلم عن معاني التعاون الشاملة وقال إن غريزة الرغبة في البقاء هي أكبر دافع لنا على التعاون خصوصاً وإن حياتنا في تعقد متزايد ومهد للدخول في الموضوع ببسط المصاعب التي نواجهها في معاشنا وأخذ بعد ذلك يدل على الطريق الواجب اتباعه لتذليل هذه المصاعب إلى أن وصل إلى التعاون بمعناه المحدود.

فلخص القارئ تاريخ التعاون ولكنه يؤخذ على أنه زعم وجود التعاون عند قدماء المصريين في مثل أيام رمسيس الثالث وعند الأمم القديمة أيضاً دون أن يحاول شرح كيفية وقوفه على ما ذكر. وبعد إن مر على العصور الوسطى وأبان حالتها لخص لنا تاريخ الثورة الصناعية تلخيصاً لطيفاً ثم تكلم عن نشوء فكرة التعاون ونموها في إنجلترا ومصر على فرنسا وألمانيا وإيطاليا وهو يكاد لا يذكر إلا أسماء مؤسس الحركة التعاونية في كل منها ثم سرد أسماء بضعة ممالك أخرى تشریفاً لها وكم كان بودي لو أعطى فكرة ولو صغيرة عن كل قطر ولكن يظهر أن المؤلف قد مل من قراءة ما حشرت به المؤلفات التعاونية فأراد أن يخفف على القارئ إعادة ما نقله غيره عن الكتب

الاجنبية حرفاً بحرف. وهنا يجدر بي ان أقول ان مميزات هذا الكتاب تنحصر في أن المؤلف اعمل عقله ولم يلتجئ الى النقل الحرفي .

تكمم بعد ذلك عن المؤسسات التعاونية وقسمها تقسيماً حسناً وعطف بعد ذلك على نظم الاتحادات وأنواعها ثم أخذ ينشر الدعوة الى التعاون فابان اغراضه ومبادئه واهتم بالجمعيات الزراعية بأنواعها على وجه خاص مع بسط الدور المطلوب من الحكومات لعبه لنشر التعاون وانجاحه

يأتى بعد ذلك بمذكرة عن تاريخ مصر الاقتصادية ومدار حملته « عاق الاحتلال البريطاني سير التقدم الاقتصادي وليس هذا تعطيل وجه السياسة الاقتصادية في البلاد الى بناء الثروة على رءوس الاموال الاجنبية ص ٨٢ » وتكمم بعد ذلك عن تأثير بنك مصر في النهضة الاقتصادية الحالية وتكمم عن جهود عمر لطفي والجمعية الزراعية ومشروع قانون سنة ١٤ وقانون ٢٧ لسنة ٢٣ وقانون ٢٣ لسنة ٢٧ وهو الاخير وقد أتى بملخصه وملخص حركة التعاون الحالية في القطر

وقد انتقد المؤلف في آخر كتابه كما فعل في مقدمته الطيبة فكرة الحكومة المتجهة لالغاء تعليم التعاون في مدارس معلمى الكتاتيب . وحقيقة ان هذه المحاولة لا داعي لها ولو تمت لاستدعت الاسف العظيم واننا نشارك الدكتور المؤلف وجهة نظره في هذا الموضوع وقد بسطها في مقدمة كتابه وزيد مطالبين تعميم تدريسه مع مسك الدفاتر ومبادئ التجارة في المدارس الأولية والابتدائية أيضاً

ولا يسعنا بعد قراءة هذا الكتاب الا حث الدكتور المرعشلى لى يتحفف القراء بكتب اخرى في موضوعه لانه يظهر من كتابه انه يفكر اولا وبعد ما يحصر الذى يروم قوله ببسطة بسلاسة لا يشوبها الغرور والحشو



الكتبات

تأليف الريحاني كتيب صغير من القطع الكبير

لا تعرف اذا كان الكتاب فى التاريخ أم هو فى الرواية. ولا تستطيع أن تفرق بين موضوعاته تفريقاً صحيحاً فجميعها متخالطة إذ تسرى فيها

كلها فكرة واحدة كالقالب الذي تريد أن تجعله ملاءماً لجميع المقاسات. فإذا
 أخذت الكتاب على أنه «نوح» على سوريا «وبكاء» على زائل مجدها وورثاء
 لاهلها وما نزل بهم من النكبات خلال عصور شتى ، استطعت ان تدرك
 للكتاب بعض المعنى . ولو ألف الريحاني كتابه هذا منذ عشرين قرناً مضين
 إذن لكان للناس ان يفهموا منه شيئاً جديداً وإذن لكان له بعض الاثر .
 فاني لا أشك مثلاً ان «مراثي اريحا» من أبدع ما تقرأ في اسفار العهد القديم
 ومن أكثرها اخذاً باللب . ولكن اعتقد بجانب هذا ان سر تأثيرها البالغ
 راجع في أكثر الامر إلى ما يحف بها من التقاليد التي تجعل لها في النفس رنة
 خاصة وترجيع بعينه . على الضد مما اذا قام «إريحا» اليوم وكتب لنا «مراثي
 أوروبا» بعد الحرب العظمى ، فهل تجد لهذه من الروعة مالتك ؟ . كلا .
 وكذلك لم ادرك ماذا رمى اليه المؤلف من نشر مثل هذا الكتاب ،
 مع اعتقادي أن النكبة التي أصيبت بها سوريا بعد الحرب لا بعد النكبات
 اثرأ في حياتها السياسية والاجتماعية وهي ولا شك أشد من كل النكبات التي
 نزلت بها الماضي اثرأ باعتبار الزمان والمكان . وهل من نكبة أشد من
 التفريق بين عناصر شعب واحد فيصبح بمقتضى النظام السياسي دولا
 وجمهوريات ، وتباین بينهم المقاصد والافراض وتلعب بهم اليد الاجنبية وهم
 عاجزون حتى عن دفعها بقليل من الاتفاق في الرأي على خطة واحدة ؟ .
 فإذا كان المقصود بالكتاب التذكير وترجيع المأسى القديمة بنعمة
 جديدة ، فما اصدق قول الشاعر :
 تلك المصيبة انت ما تقدمها
 وما لها مع طول الدهر نسيان

العصور

في سنتها الاولى

بهذا العدد تختتم العصور سنتها الاولى . وكان حقاً علينا أن نستعرض في ايجاز ما قابل به الرأي الادبي والعلمي في البلاد العربية نزعة العصور ومبدأها . والحق أننا ما أصدرنا العصور ابتغاء الكسب ولا ابتغاء العمل الصحفي على أنه تجارة نحتال بها على الناس لنسلمهم سرّاً في الظلام تلقاء بضاعة مزجاة نرضى بها نزعاتهم ونطلب بها مرضاتهم . بل عنيينا في أول ما عنيينا به في العصور أن نكون مستقلين في السياسة عن كل الاحزاب ، كما كنا في العلم والادب على نهج قد لا يرضى السواء الاعظم من الامم العربية في هذا العصر . وكنا على علم باننا سوف نلقى صعاباً واننا سوف نجد من عطف القليلين من المتنورين النابزين ما نستقوى به على سخط الاكثرية من الجامدين . وقدردنا أننا سوف تنضب من حولنا موارد التشجيع في عمل ما يعرف قدره الا القليلون . والذين يقدرون له أثره في المستقبل أقل . غير أن كل ما قدرناه اذعز منا على اصدار العصور في مثل هذه الايام من العام المنصرم قد خطأه الواقع ونمت على مغالاتنا فيه التجربة العملية . فالحق ان العصور قد اقيت في العالم العربي كله من التشجيع والانصار ما ضاعف على العمل عزيمتنا وحفزنا الى مواصلة الجهد البالغ لنشر مع العصور مبدأ حرية الفكر خالصاً لوجه الحقيقة ، فلا المذهبية في أية صورة من صورها ، علمية أم فلسفية أم دينية ، كان لها علينا أقل سلطان ، ولا الاغراض بضروبها مادية او غير مادية لها على عملنا في العصور اضأل الأثر . فلوجه الحقيقة نعمل وعلى تهديم آخر حجر من بناء التقاليد والاساطير نواصل الجهد غير وائين ولا مفرطين يوماً من الايام

ولقد ساء البعض أننا تطرفنا في النقد بعض الشيء وأدلىنا برأينا في موضوعات تمس الناحية التقليدية عند بعض الفئات بكثير من حرية الرأي. وعلى قدر ما ساءهم منا ذلك التطرف وتلك الحرية ، ساءنا أن نتحفظ في بعض الأحيان عن أن نبدي رأينا بما يلزم من الصراحة ازاء بعض المبادئ التي بشها في روع الناس مجموعة المتعلمين الجامدين الذين لا يرون في كل جديد إلا هدمًا بسلطانهم البائد وتفضًا لبنائهم المتهار .



ولست أنكر أن للقلم زلات ، قد يكون مقصوداً بها الخير فتصرف في غير منصرفها ، وقد تكون راجعة الى ما يعتور النفوس بعض الأحيان من سقطات الوهم وفلتات الهم والضعف . ولعمري كيف تكون حرية فكرية تلك التي لا تحمل من أعدائها أكبر الأذى بلإذاة وصبر . وكيف يكون جهاد في سبيل مبدأ ولا يتسع لكلمات تنبذ بها الصدور المحرجة والقلوب المنعممة بحب القديم نهجه في غير هوادة ولا لين ؟

وكذلك لا أدري كيف نخالص من موقفنا الذي وقفنا فيه وصحبي الذين تطوعوا لنشر هذه الدعوة معي من غير أن يصيبنا رذاذ من عنف السليقة ينهدل مع قليل من الأسف على ما أحب الناس أن يكون بعيداً عن متداول النقد وميدان الصراع ، وأردنا إلا أن نجعله في الميدان يتلقى الضربة وينتهيها ويسدد أخرى فتتقوى بمثل ما اتقى ضربات خصومه . وكفى بهذا موقفاً يجعلنا في حيز بعيد عن ما يدرك عامة الناس من حقيقة الحياة الفكرية الحرة كما عزفت خلال العصر الحديث

ولقد اسفنت بعض الشيء لأن النقد الذي دأبت عليه العصور قد انصرف بعض الأحيان الى صورة ظهر بها في مظهر جعله الى التهمك أقرب منه الى النقد . وما قصدنا بذلك إلا أن نذهب عن القاريء شعوره بأنه مطوى في ذلك الجو الجاف ، جو التفكير الصرف والحركة الذهنية المحضة التي تتلقفها فيه النظرية تلو الأخرى والقاعدة بعد أختها . فإنا كنا قد أسأنا

في ذلك ، وإذا كنا قد نبأ بقصد عما قصدنا اليه في اختيار السبيل ،
فلا عذر على ما قصد به الخير ، وإن انصرف الى ناحية اقضت مضاجع
بعد القارئين .



أما وقد اتاحت لنا الفرصة لأن نكتب في العصور بمناسبة انقضاء
سنتها الاولى ، فإنا نعاهد قراءنا مرة أخرى على أننا سوف نكون عند الخطة
التي بدأنا بها حياة المجلة من البحث عن الحقيقة والنقد الحر المبرأ عن أية من
العلاقات الدنيوية التي قد تذهب بالنقد في مزالق انحدرت من فوقها صحف
النقد الى حيث أصبحت وسائل للتجادح وتكاييل الثناء في غير حاجة اليه وفي
غير موضع له .

كذلك سوف تقتصر في إصدار العصور على عشرة اعداد تقع كل خمسة
منها في ٨٠٠ صفحة من قطعها العادي وتكون مجلداً ، فسزيد على كل عدد
٣٢ صفحة تعويضاً للقارئ في عشرة الاعداد عما سيفقد من عدديها .
وما توخينا بهذه الطريقة إلا أن نجد فرصة نجدد فيها مقدرتنا على العمل
والتفرغ لبعض الدراسات التي يجب أن تكون عدتنا للعمل في المستقبل .
هذا وأكبر آمالنا أن نكون لدى قرائنا في المنزلة التي أنزلنا فيها آثار
الكتاب جميعاً ، معرضين لتقدم متبيلين لآرائهم ، فالعصور ليست إلا
ميداناً تتصارع فيه العقول عسى أن تصل الى بعض ما نتوخي من تقويم
للاساليب الفكرية التي شاعت بيننا منذ ابعد الازمان —

اسماعيل مظهر

فهرست

ص

- ١٢٩٧ — الديموقراطية في الميزان . عن ويلز
- ١٣١٥ — رباعيات الخيام — للزهاوى
- ١٣١٦ — هرطقة والعياذ بالله
- ١٣٢٠ — غريزة الجنس
- ١٣٢٦ — ماهو الاحاد
- ١٣٢٨ — الفصن الذابل؟ قطعة شعرية
- ١٣٣١ — الله — قطعة شعرية
- ١٣٣٤ — وثائق للتاريخ :
- ١٣٤٠ — مستقبل الشمس — بحث فلكي عن سير جينز
- ١٣٤٧ — الراعيان والافعى — اسطورة عربية
- ١٣٤٩ — جورج برنرد شو
- ١٣٦١ — في الادب
- ١٣٦٤ — مذكرات انا
- ١٣٧١ — الاقتصاد : كما يفهم المصريون
- ١٣٧٦ — الجدل العائر — قصة
- ١٣٨٢ — نظرات في الحياة العامة — عن لورد غراى
- ١٣٩٧ — هدم الاساس — قطعة شعرية
- ١٣٩٨ — دكتاتورية الاقزام — في الميثولوجيا
- ١٤٠١ — الثقافة والاخلاق — عن لورد اسكويث
- ١٤٠٨ — تأملات في الادب والحياة
- ١٤١٣ — مبادئ الفلسفة الحديثة
- ١٤١٦ — النقد والتأليف
- ١٤١٩ — العصور — في سنتها الاولى — اسماعيل مشهور

يظهر في خلال أسبوع

كتاب

عصر النهضة الحديثة

ومقالات أخرى

النسبية علمياً وفلسفياً — أساس الحضارة المقبلة : أهور الرقى الادبي
أم النشوء العضوي — ماهية التاريخ : فنيا ووصفياً وفلسفياً — ما كس نوردابو :
نظراته في الحياة ومثال من آرائه الاجتماعية — دلالة الشعر على روح العصر —
عبث الحياة : قصة واقعية — كشف الستار عن سر الاسرار — خداع الطبيعة —
النهضة الشرقية : أظهر مظاهرها وأبقى آثارها — طابع المدنية الحديثة : مدنية
الفرد ومدنية الجماهير — يعقوب صروف : صورة وذكرى : أثره في علم
البيولوجيا — فلسفة الانقلاب التركي الحديث .

بقلم

اسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها

أنجزت دار العصور للطبع والنشر هذا الكتاب واقعاً في ٢٤٠ صفحة من
القطع الكبير مطبوعاً طبعاً متقناً . وقد جعم بين الابحاث العلمية والادبية
والتاريخية في أهم الموضوعات التي تعالج مشا كل العصر الحديث . وفيه تقع على

بحث مستفيض في المشاكل الحقيقية التي تقوم في العالم الاوروبي والتي تهددنا اليوم تهديداً حقيقياً يكاد يقتضي على حياة الهدوء والسكينة التي عاش آباؤنا الاقربون في كنفها الى عهد قريب . وأول تلك المشكلات الكبيرة ادخال الآلات الميكانيكية في حياتنا العامة ، وفي أخص ما تقوم عليه الحياة المصرية من المنتجات الصناعية والزراعية . فلدينا اليوم معامل تجمع بين جنباتها آلاف العمال ، وفي حقولنا تنوى الآن آلات الحرث والدرس والحصاد الى غير ذلك من الاعمال التي كان يقوم بها فلاحنا بجهد يديه . فكأننا قادمون على نفس ذلك العصر الاتقلاي الذي بدأ في أوروبا منذ قرن ونصف وقلب أساس الحياة الاجتماعية هناك رأساً على عقب وزود المدنية الحديثة بمشكلات كبيرة لم يجد الاجتماعيون والسياسيون حتى اليوم مخلصاً منها . فإذا قرأت « معضلات المدنية الحديثة » فكأنك قرأت ما أنت مقدم عليه من مشكلات الحياة الجديدة في عصر التمدن .

وانك بعد ذلك لواقع على ابحاث علمية فلسفية لا يستغنى عن الوقوف على مفصلاتها عقل مثقف على النمط الحديث . وعلى الجملة فكل الكتاب على طابع واحد من دقة البحث والاقاضة فيه .

وقد رغبتنا في أن نجعل الكتاب في متناول أعظم مجموع من القارئين فجعلنا ثمنه ١٥٠ ملياً يضاف اليها أجرة البريد اذا طلب مباشرة . فاطلبه من جميع المكاتب ومن دار العصور للطبع والنشر بشارع اسماعيل الفلكي رقم ٧ بالظاهر .